

١٠٨٢
دار النحاس
ahas
Dakhilatna Menas

دار م. النحاس

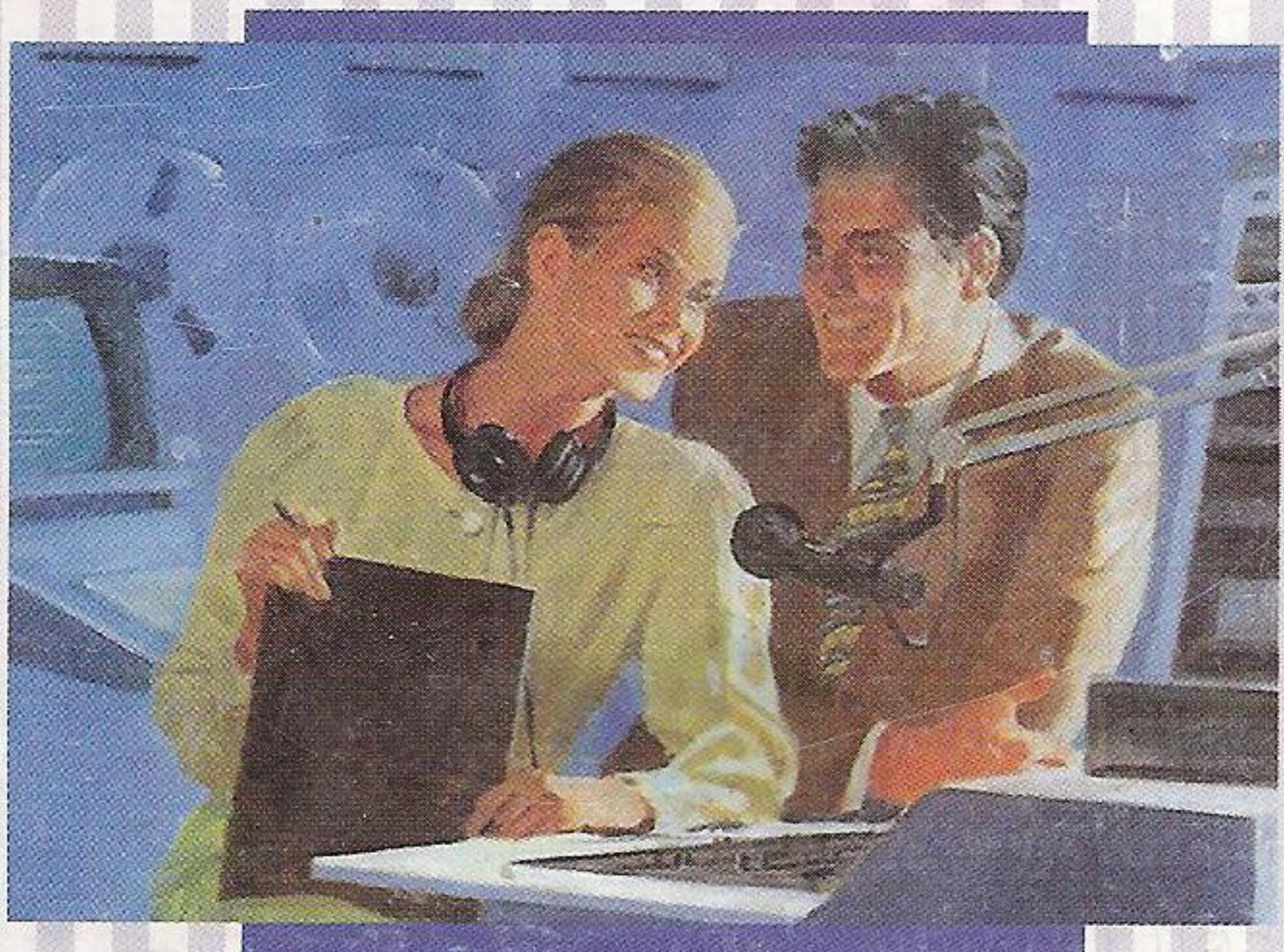
كتاب

1082



HARLEQUIN

عودة الفائز
~~HAMASAAAT~~
بيبني جورдан





عودة الغائب

L-Sc

بینی جوردان

هل عاد لاجلهما... ام لأجل ابنهما؟

لم تكن الحياة سهلة على أم تربى ابنها بمفردها. لكن وين وبطريقة من الطرق تمكنت من أن تربى ولداً تفتخرون بتربيته أي أم أخرى. الآن، عاد والد شارلي ليظهر على الملا... طالبأحضانه ابنه. لكن هل كان ذلك كل ما يريده؟ أو هل أن زوجها السابق عاد ليأخذ منها شارلي؟

تمكن جايمس وفي ايام قليلة ان يقلب حياتها وثقتها بنفسها الى عذاب لا يحتمل ولا يطاق. لكن هل الذي يقلقها الان مستقبلاها هي شخصياً ام مستقبل شارلي؟

لبنان: ٣٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - مصر: ٥,٢ جنيه - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال.

يجب ألا يحدث ذلك، يجب ألا تكون معه. انه عمل خاطئ وخطير، لأنه سيؤذنها مرة اخرى وبالطريقة التي اذاها بها سابقاً.

اخذت هذه التحذيرات تدور في رأس وين كالقطع الذي يتعدد في كل اغنية، لكن قلبها ابى ان يصفي الى نداءات عقلها. وبجزع شديد، اتضحت لها الحقيقة كاملة والتي كانت قد حجبتها عنها منذ سنوات طويلة.
انها ما زالت تحبه.

hammasaadat

الفصل الأول

«وين، مازا هناك؟»

رفعت وينتر نظرها عن فنجان القهوة وشعرت بالخجل
لعدم اصغائهما وانتباها لحدث صديقتها.

انها وصديقتها هيزر قد مضى على تعارفهما عشر
سنوات. لقد تعرفت اليها في اليوم الأول عندما بدأ طفليهما
يخطوان أولى خطواتهما في احد الملاعب، والسبب
الرئيسي للقائهما هذا اليوم للتحدث في كيفية القيام
بعض التحضيرات للاحتفال بالعيد العاشر لتعارفهما
بعض.

ومما قالت هيزر: «سندذهب إلى مكان خاص جداً، انما
ليس إلى الفندق، خاصة لأنك تعملين فيه.»

فهمت وينتر من التغير في نبرة صوت هيزر بأنقصد
من كلامها لم يكن فقط لأنها تعمل في الفندق كمسؤولة عن
الموظفين وعلى نظام سير قسم الاستعلامات، بل قصدت
أيضاً علاقتها بتوم لونغتون صاحب الفندق.

وتابعت هيزر تساؤلها مستوضحة: «ليس توم، ليس
ذلك؟... اعتقد انك وهو...»

قاطعتها وينتر تحسم الموقف: «لا، ليس توم.» انما لا
يوجد سبب يدعوها لتكتم ما حصل معها عن هيزر. على أية
حال، انها تعلم جيداً ان إبنها شارلي لن يضيع الفرصة
وسيسرع ليخبر داني ابن هيزر، بالخبر المفرح. انه مفرح

وليست لدى اية فكرة عن سبب عودته، حتى انتي لا اعرف لماذا اختار في ان يعود إلى هنا... ولطالما كان طموحاً وناجحاً جداً. والاعمال الالكترونية التي ابتدأها في استراليا تبدو مثمرة. ولا انكر ابداً كرمه المادي معي. وكما فهمت من شارلي، انه يريد ان ينهي أعماله كلياً في سيدني ويعود إلى هنا.»

سألتها هيزر: «نهاياً؟»

تنهدت وين من جديد: «لا فكرة لدى، فنحن لا نتصل ببعضنا البعض ولا لأي سبب. وعلى أية حال، لا ادرى سبباً يخولنا لذلك.»

اشارت هيزر قائلة: «لكنه يتصل بشارلي... انه مولع بأبيه، أليس كذلك؟»

ارتجم قلب وين لما قالته صديقتها. فهيزر لم تتعرف بجايمس، ذلك لأن وين لم تبدأ ترافق طفلها إلى الملعب إلا بعد طلاقها، حيث ان طبيتها كان قد نصحها بذلك بعد ان رأى مدى تعلقها الشديد والغريب بحب ابنها الصغير.

«يبدو عليه ذلك.» وافقت دون تفكير وربما ذلك لأنها ما زالت متأثرة بالخبر المؤلم الذي انبأها به شارلي. ثم انفجرت غاضبة لا تستطيع كبح جماح عواطفها: «مع انتي لا اعلم لماذا، خاصة عندما بلغ سن السادسة، كان جايمس يتتجاهل الأمر، ولا يعترف بوجود شارلي.»

نظرت هيزر إليها بعطف. فمع ان وينتر لم تكن من النوع الذي يقول ما في قلبه بسهولة، ولكن ما ان توطدت الصدقة بينهما، حتى فتحت وينتر قلبها فعلمت صديقتها بالظروف المؤسفة التي تحيط بها وقصة الزواج الذي لم يدم وانتهى وبكل أسف بالطلاق.

بالنسبة لشارلي اكثر مما هو لها، وتراه بعيداً من ان يكون مفرحاً، لا بل تعتقد انه اسوأ خبر تلقاه منذ فترة طويلة. ثم قالت بكاء: «ان جايمس عائد.» ولما لاحظت عالمة الاستفهام على وجه هيزر،تابعت تضيف: «والد شارلي.» بدت الصدمة على وجه هيزر، فابتسمت وينتر بكاء وألم. فالصدمة التي تلقتها هيزر لم تكن شيئاً بالنسبة للصدمة التي تلقتها هي نفسها عندما ابلغها شارلي بالخبر بينما كانا يتناولان طعام الفطور منذ اربعة ايام. وكان قد يلغها الخبر بطريقة قاسية ولاذعة، وهي الطريقة التي بات يستعملها دائماً هذه الأيام.

رسا كان عليها ان تتوقع هذا التغيير المفاجيء فيه، خاصة بعد ما تحدث عنهما عشرة الآن، ولم يعد طفلاً. ولكن في تلك اللحظة، هذه المعاملة بعد ان حضنته وهو طفل، لم تعد ملائكة. حضرت الأولى، فكان حنانها وحنانها يحوطانه من كل صوب، وها هي الان تراه يرفض منها معاملة من هذا النوع.

تنكرت كيف انه لم يكن من السهل عليها تربيته والشهر عليه بمفردتها بعد طلاقها لكنها كانت تطمئن دائماً انه سعيد معها، وانها قد تمكنت من ان تعوض له حنان الأب، وبالاخص أب مثل جايمس، الذي اظهر استياءه وغضبه من ابنه اكثر من المحبة والاعطف.

قالت هيزر اخيراً: «ولكنني اعتقدت انه في استراليا، وقد ملا الحسد قلوب اصدقاء شارلي عندما سافر ليمضي اجازته هناك منذ سنتين..»

تنهدت وينتر: «نعم... حسناً. يبدو الان انه قرر العودة،

والذي اعتقدته هيذر ومازالت تعتقد به الآن، ان اكثر الأمور التي تؤلم المرأة وتجرحها في الصميم، عندما تكتشف بأن زوجها لم يكن صادقاً ومخلصاً لها بمشاعره، خاصة بعد ان تستعيد نشاطها من عملية ولادة عسيرة وتلد له طفلهما الأول، وخاصة ايضاً عندما تجد ان الطفل ولد ضعيفاً ومرضاً ويحتاج إلى رعاية صحية دائمة، وفوق كل ذلك لم تبلغ الأم بعد سن العشرين من عمرها والتي كانا والديها يمانعان زواجهما المبكر هذا. انه حقاً أمر صعب للغاية.

لكن وينتر لم تستدر عطف أو شفقة أحد من الناس، وذلـك لأنـها لم تـكن من هـذا النوعـ. كانت متمسـكة باستقلالـيتها بـعـنـادـ. وكانت قـوـيـةـ العـزـمـ وـالـأـرـادـةـ لـتـقـفـ عـلـىـ قـدـمـيـهـاـ دونـ انـ تـطـلـبـ أـيـ مـسـاعـدةـ منـ أيـ كـانـ، وـصـبـرـتـ وـتـحـمـلـتـ الصـعـابـ لـتـواـجـهـ أـيـامـهاـ المـقـبـلـةـ بـتـحدـ وـثـقـةـ.

منـ المعـرـوفـ انـ وـينـترـ لـهـ شـخـصـيـةـ خـاصـةـ، وـمـنـعـزـلـةـ بـعـضـ الشـيـءـ، وـتـصـرـفـاتـهاـ مـتـحـفـظـةـ...ـ وـلـكـنـ وـبـعـدـ ماـ تـأـذـتـ فـيـ الصـمـيمـ، فـلـاـ عـجـبـ مـنـ انـ تـتـبـدـلـ تـصـرـفـاتـهاـ.

لمـ تـنـدـهـشـ هيـزـرـ وـهـيـ التـيـ تـعـرـفـهاـ جـيدـاـ، لـعـدـمـ زـوـاجـهاـ مـرـةـ ثـانـيـةـ، بـالـرـغـمـ مـنـ انـهاـ جـذـابـةـ جـداـ. فالـعـدـيدـ مـنـ الرـجـالـ اـبـدوـ اـهـتـمـامـهـ بـهـاـ، وـلـكـنـهاـ لمـ تـأـبـهـ لـذـلـكـ، بلـ قـرـرـتـ مـتـابـعـةـ درـاستـهاـ حـتـىـ النـهـاـيـةـ، وـمـنـ ثـمـ حـصـلـتـ عـلـىـ وـظـيـفـتـهاـ الـحـالـيـةـ معـ تـوـمـ لـونـغـتونـ.

كـمـ اـنـهـ لـمـ يـنـدـهـشـ اـحـدـ اـكـثـرـ مـنـ اـنـدـهـاشـ هيـزـرـ، عـنـدـمـاـ وـافـقـتـ عـلـىـ مـرـافـقـةـ تـوـمـ لـأـوـلـ مـرـةـ. فـهـيـ تـخـرـجـ مـعـهـ مـنـذـ اـشـهـرـ عـدـيـدـةـ وـقـرـابـةـ السـنـةـ فـيـ الـوـاقـعـ.

في البداية وعندما اشتري توم ذلك البناء الجورجي المتهدم في ضواحي البلدة قائلاً بأنه عازم على ان يحوله إلى فندق من الدرجة الأولى، يتضمن نادي تتتوفر فيه كل اسباب الراحة، سخر منه الجميع، مدعيين بأنه ليس بالمكان المناسب لمثل هذا المشروع.

لقد كانوا على خطأ فيما اعتقدوه، حتى ان توم نفسه لم يفكر بأن سكة الحديد ستتمر امام فندقه والذي جعل الحركة مستمرة ووفود الزبائن مستمرة بطريقه سهلة ومرحية. وها هو توم الان يتحدث عن بناء غرف اضافية وشراء قطعة ارض قريبة من الفندق تمهدأ للعبة الغولف.

نادرأ ما كانت وينتر تتكلم عن مشاريع توم حتى مع الصديقة الأقرب اليها. وتسائل هيذر احياناً، هل من الممكن ان تتزوج توم؟ انهم مناسبان لبعضهما، مع ان توم يبدو احياناً عدوانياً، متقلب المزاج، او ربما متغطرساً بعض الشيء بالطريقة التي يقارن بها نفسه بمنجاوه، مع من كانوا اقل منه نجاهاً. لكنه ومع كل ذلك، كان يظهر اهتماماً نادرأ لوينتر.

لكن ليس لشارلي؟

لطالما تسائلت هيذر فيما لو لاحظت وينتر الاستياء والكره بين ابنتها ومدير عملها الصديق. انها لو لاحظت شيئاً من هذا، فلماذا لم تذكره امامها، ومن الصعب على هيذر ان تفتحها بمثل هذا الموضوع. في البداية وعندما رأت الشحوب على وجه صديقتها وعدم تركيزها واصفائها للذى كانت تحدثها به، اعتتقدت بأن بعض المشاكل حصلت بين شارلي وتوم.

كذلك تساءلت هيزر فيما لو يثير اهتمامها اي رجل كما يحدث مع ابنها. لكن قد يكون سبب اهتمام وين بالبالغ بشارلي كونه وحيداً بينما هيزر لديها ثلاثة أولاد. أو ربما لأن شارلي كان مريضاً جداً في طفولته يعتمد عليها في كل أموره، وذلك بعد رحيل جايمس عنهم. كما انه كان يبدو دائماً على وين التعلق الشديد بشارلي اكثر من تعلق هيزر بأولادها الثلاثة.

كانت في بعض الأحيان تحسدها على شعورها ذلك. ولكن وبعد ان افضت وين لها ذات يوم، وهي في حالة يرثى لها، بمساتها، قلقت عليها وخشي她 بأنها قد تكون تخنق شارلي بحبها هذا، مما قد يؤدي بها وبصفتها المسئولة وحدها عنه، أن تعتبر مذنبة بمحبتها الفائضة له، وذلك بعدم منحه الحرية التي يحتاجها لينشا ويشب بطريقة سليمة كأي فرد من الأفراد، ولذلك عليها أن تخف عنـه قليلاً، خصوصاً أنه ناجح في دروسه، وبالتالي ان تتـيح له الفرصة لاقامة علاقات مع آخرين بعيداً عنها.

كانت وين في نظر هيزر، الأم الرائعة، حتى عندما عرفت بأن وين تشعر بالذنب منذ اليوم الذي اظهرت فيه استياءها وامتعاضها لاتصال جايمس المفاجئ، عندما أصبح شارلي في سن السادسة يستأنـها ببرؤيتها.

وقتها قالت لهـيزر بمرارة: «اعتقد بأنه يجب ان البي طلبـه من اجل شارـلي.»

فأجابـتها هـيزر حينـها: «على الأقل، وبـوجود جـايمـس الدائم في استراليا، لا اعتقد بأنه سيـعـكر صـفو حـياتـك وـحياة شـارـلي.»

تكلمت الآن هـيزـر لـتبـعد وـين عن اـفـكارـها وـقالـت: «اعـتقـد ان شـارـلي مـبـتهـج جـداً الان.»

الـتـمعـت المـرارـة في عـيـني وـين، وـعادـت تـفـكـر في نـفـسـها. فـهي اـقـصـر قـامـة من هـيزـر، وـنـحـيلـة، لـكـن وـبـما انـها كانت تـعـتـنـي بـمـظـهـرـها، كانت تـبـدو بـأنـها الـأـطـوـل قـامـة. وـكان شـعـرـها بـنـيـاً كـثـيـراً تـهـتـم بـتـسـرـيـحـه بـشـكـلـ بـديـعـ. كـما انـعـيـناـها كانتـا تـذـكـرـان هـيزـر بـحـبـاتـ الكرـزـ المتـلـائـة تحتـ اـشـعـةـ الشـمـسـ. وـفـي مـنـاسـبـاتـ كـثـيـرةـ حيثـ تـفـقـدـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ نـفـسـهاـ وـتـسمـحـ لـمـشـاعـرـهاـ الـحـقـيقـيـةـ بـأنـ تـظـهـرـ، كـماـ هيـ الانـ، تـبـدوـ عـيـناـهاـ تـشـتـعـلـانـ بـحـمـاسـ مـذـهـلـ عـلـىـ كـلـ المـصـاعـبـ بـالـرـغـمـ مـنـ طـبـيـعـةـ نـفـسـهاـ الـهـادـئـةـ.

أـجـابـتـ وـينـ بـطـرـيـقـةـ مـرـوعـةـ: «ـتـقـولـيـنـ مـبـتهـجـ فـقـطـ؟ لاـ بلـ اـنـهـ مـتـحـمـسـ جـداـ.»

أـجـابـتـ هـيزـرـ مـمـازـحةـ: «ـافـهمـ اـذـاـ، بـأـنـ عـودـةـ أـبـيـهـ حدـثـ يـتـحـمـسـ لـهـ حـتـىـ اـكـثـرـ مـنـ اـنـ يـفـوزـ فـرـيقـهـ الـرـياـضـيـ الـمـفـضـلـ.ـ»ـ لـكـنـ هـذـهـ النـكـتـةـ لـمـ تـضـحـكـ وـينـ، بلـ بـادرـتـهاـ بـالـنـظـرـ الـيـهاـ بـنـظـرـاتـ مـبـهـمـةـ.

«ـاـذـاـ كـانـ جـاـيمـسـ يـعـتـقـدـ بـأـنـ يـمـكـنـهـ أـخـذـ شـارـليـ مـنـيـ...ـ كـانـ يـجـذـبـهـ إـلـيـهـ...ـ اوـ يـغـرـيـهـ بـطـرـيـقـةـ ماـ...ـ»ـ «ـيـأـخـذـهـ مـنـكـ؟ـ لـكـنـ لـاـ يـمـكـنـهـ فـعـلـ ذـلـكـ.ـ الاـ تـمـلـكـيـنـ الـحـقـ فـيـ حـضـانـتـهـ؟ـ»ـ

«ـشـرـعاـ،ـ نـعـمـ.ـ»ـ اـجـابـتـ وـينـ عـلـىـ الـفـورـ،ـ وـبـدـتـ عـيـناـهاـ فـجـأـةـ مـحـمـرـتـانـ كـسـيرـتـانـ.ـ وـافـضـتـ إـلـىـ صـدـيقـتـهاـ بـأـرـتـعاـشـ:ـ «ـهـيزـرـ.ـ اـنـ شـارـليـ يـحـبـ وـالـدـهـ كـثـيـراـ،ـ فـمـنـذـ اـنـ اـمـضـيـ اـجـازـتـهـ فـيـ سـيـدنـيـ،ـ لـاـ اـذـكـرـ اـنـهـ يـوـمـاـ تـوـقـفـ عـنـ نـكـرـ اـبـيـهـ.ـ فـلـوـ اـسـتـقـرـ

جايمس في هذه البلدة، وهذا ما يبدو بأنه سيقوم به، فإن شارلي سيرحب بذلك كثيراً. ولا أخفي عليك بأنني وشارلي لا نمر بأوقات جيدة في الوقت الحاضر. إنه لا يتفق مع توم وهذا خطأي منذ البداية على ما اظن. لأنه لم يعتد على رؤيتي مع اي رجل منذ تفتحت عيناه على هذه الدنيا... ولا يجب ان ننسى بأن توم ليس من الصنف الدبلوماسي. ومن يراهما معاً يعتقد بأنهما في حلبة لصراع الثيران.» لم تستطع هيزر تمالك نفسها من الضحك قليلاً، مع انها تعاطف وتتفهم واقع وحقيقة ألم صديقتها.

ثم سألتها بلهف: «هل تخشين من عودة جايمس إلى الساحة في ان تزداد الأمور تعقيداً بين توم وشارلي؟» «هذا أحد الأسباب. ولكن الذي اخشاه اكثر، هو ان يسأل

جايمس شارلي لو يرغب في العيش معه. أوه، لا تعتقدني بأنه لا يمكن حدوث مثل هذا الشيء. اعرف بأنه شرعاً يحق لي بخضانة شارلي، لكن ماذا لو اغراه جايمس بأشياء واقنעהه في الذهاب معه... فالولد الآن يكن لوالده حباً عظيماً ويعتقد، بأنه الأمثل له... ولا يمكن ان يتذكر ويفهم كيف كانت الأمور يوم ولادته، وكم كان جايمس غاضباً مني بسبب الحمل في المرتبة الأولى، إذ لم يكن قد خطط لولادة شارلي، وقد حصل ذلك بمحض الصدفة، ودون سابق تصميم. كنا وقتها مازلنا في الشهر الرابع لزواجنا، وكما تعلمين لا اهلي ولا اهل جايمس وافقوا على زواجنا هذا. كان جايمس في السادسة والعشرين وقد تخرج حديثاً وغير مستعد بعد، بينما كنت أنا في التاسعة عشر من عمري. وادركت بعد ما حصل لعاناً كلاناً يريدان منا ان

نتريث، لكننا كنا متحابان... أو لنقل اتنى انا من كان يحب ويتفانى في حبه..»

«لكن من المؤكد ان جايمس تغير يوم ولادة شارلي؟» قاطعتها وبين قائلة وهي تنفي بحركة من رأسها: «لقد كان غائباً يوم ولادة شارلي. فبعد ان اكتشفنا بأنني حامل، حصل على عمل جديد حيث كسب منه مالاً وفيراً، ولكنه جعله يتغيب كثيراً كل يوم، يخرج صباحاً في الساعة السابعة ولا يعود في اكثر الاحيان، واذا عاد ففي الساعة الثامنة او التاسعة ليلاً. ويوم دنا موعد الولادة، كان هو يشارك في مؤتمر ما، حاولت الاتصال به، لكنها ابلغتني انه من المستحيل تنفيذ ذلك.»

ليس هناك من داع لهيزر ان تسأل عن هوية من ابلغتها، فقد سبق لها وان عرفت كيف اكتشفت وبين بأن زوجها متورط بعلاقة عاطفية مع سكرتيرته الخاصة.

وتابعت وبين كلامها: «لا، لم يكن جايمس يريد شيئاً من شارلي، وقد كان يشكو دائمًا من صراخه وبكائه وبأنه يؤثر على اعصابه. وكان يمكنني ان ارى تعابير القرف والاشمئزاز على وجهه كلما عاد إلى البيت من الحالة الفوضاوية فيه، ومني.»

عادت وبين تنهد لتتابع: «ربما لو لم يضطر اهلي ليكونوا في ادنبرغ مع جدتي... لو انه كان يوجد احد ما معي ليساعدني على العناية بشارلي في فترة مرضه الشديد. لقد شعرت بالخوف والرعب يا هيزر، حاول من كانوا بقربي ان يكونوا لطفاء معي، لكن موظفو المستشفى جعلوني اشعر بأنني غير كفؤة، ولا يؤتمن على برعاية

شارلي. لقد كان حجمه صغيراً جداً وبالتالي مريضاً جداً، ومشاكله مخيفة في امعائه... اعتدت بأنه قد يموت، وهنا ألم نفسي كل اللوم. ربما كان علي ان اعلم أمي في هذا الأمر، ولكنني تذكرت غضبها الشديد مني عندما اصررت على الزواج وعدم الذهاب إلى الجامعة كما قررت في السابق. وسبب ذلك بيننا شق وقطيعة واعلم تماماً سبب ذلك، لكنني شعرت انني لا استطيع الاعتراف بأنها هي من كانت على حق وبأنني أنا المخطئة. لذا لم أكن قادرة على البوح لها عن هلعي الشديد على شارلي.»

قالت هيزر بعطف: «وماذا عن والدة جايمس؟»
أجبت وين: «كانت وزوجها في كندا يزوران شقيقة جايمس الكبرى، رحلة وفرا فيها المال الكثير والوقت الطويل ليقوما بها، وقد استقرا هناك الآن، لكنهما لا ينقطعان عن الاتصال أبداً.»

«مسكينة يا وين. لا بد انك عانيت الأمرين والأوقات العصبية.» قالت لها هيزر، وهي تتذكر الفرح والابتهاج بمولودها الأول. وكانت وقتها في أواخر العشرينات من عمرها، وقد خططت وزوجها لاتجاه ابنهما بول بعد ان شعر زوجها ريك بأنه بامكانه تحمل المصاريف اللازمة له وحتى ايضاً لانشاء عائلة اكبر. لقد كانت والدتها في ذلك الوقت مازالت على قيد الحياة ومستعدة كي تمد لها يد المساعدة، كما فعلت ايضاً والدة ريك وشقيقاته. وكان ريك قربها يوم الولادة، حتى انه امتنع عن العمل لمدة شهر بعد ذلك، ليكون إلى جانبها وجانب الطفل.

اجابت وين بالحاج: «انا المخطئة، وكان علينا، أنا

جايمس، الا نتزوج. كنت صغيرة جداً وغير ناضجة بعد على تربية الاطفال. ربما لو انتي تزوجت بشخص آخر اقل انانية... آه، يا هيزر... أخاف أن يتقرب إلى شارلي ويعلّقه به. وأنت تعلمين كم أن شارلي يحب والده ويقدرها، ولكنه لا يعرفه جيداً، واحشى متى عرف حقيقة والده... أعرف ان شارلي يحتاج إلى رجل في حياته، رجل يكون له المعين والمؤثر، لكن ليس رجلاً مثل جايمس...»

اسرعت هيزر تقول: «لكن هل انت متأكدة بأنه عائد ليستقر هنا وليس مجرد زيارة لا اكثر؟»

«هذا ما يبدو لي. على اية حال، انه رجل اعمال، وكما تمكن من تأسيس شركة لالكترونيات في استراليا، يمكنه ببساطة ان يؤسس اخرى هنا. اتعلمين، يصعب علي كثيراً ان اطلع شارلي على حقيقة والده، فشارلي يميل إلى العصبية والعناد... وهذا ذنبي على ما اعتقد، اشعر به احياناً بأنه يتوقع مني ان انتقد والده كي يهب مدافعاً عنه.» سألتها هيزر بلطف: «هل حاولت مرأة التكلم مع شارلي عن الأسباب التي ادت إلى طلاقك من والده؟»

نفت وين بحركة من رأسها وقالت: «لا، مع انتي اعلم انه يلومني على هذا الطلاق. اكره نفسي على ان اقول مثل هذا القول، يا هيزر، لكن في بعض الأحيان... حسناً، اشعر واتمنى لو ان جايمس يظهر حقيقة نفسه ويكشف عن اوراقه امام شارلي، ومع ذلك اكره ان يحدث مثل هذا الشيء، لأنني اعلم كم ان ذلك سيؤلم شارلي ويعذبه.»

قالت هيزر برقة وهي تخمم صديقتها إلى صدرها: «انك تحكمين على نفسك بقسوة، فأنت لست سوى انسان يا وين،

واعلم كم قاسيت وتألمت. حسناً، الآن. أفهم ان جايمس ترك لك البيت ولم يحاول مرة ان يطالب بمنصبيه منه، كما انه كان كريماً جداً من الناحية المادية...» اسرعت وين تقول مقاطعة: «لم انفق منه قرشاً واحداً على نفسي..»

قالت هيذر: «أعرف انك لم تفعلي ذلك، واعرف أيضاً انه لم يكن سهلاً عليك عندما بدأ جايمس يظهر اهتماماً بشارلي ويرسل له رزم الهدايا من سيدني، ومن ثم استدعاه ليقضي اجازته معه.»

ردت وين: «اعتقد أن هذا ما دفعني وأناأشعر بالأشواك تنكر اطراف جسدي إلى الالتحاق بالجامعة كي احصل على وظيفة افضل وايراد أكبر.»

اعتبرت هيذر قائلة: «ولكنك لطالما اشتغلت وكافحت للوصول إلى الأفضل دائماً.»

ظهر الامتعاض على وجه وين وهي تقول: «أعمال اضافية، دون أي تحسن في الوضع... انها اعمال لا تدر سوى النذر القليل ولا تقبل بها سوى امرأة غير مؤهلة مثلي. وأدركت فجأة كم أنا امثل صورة حقيرة للمرأة بنظر شارلي، لذا اردته ان يفهم بأن المرأة يمكنها ان تكون منتجة وناجحة... اعتقل لو انتي كنت صادقة معه... فقد كنت اظهر الغيرة دائماً عندما يبدأ بالحديث عن نجاحات جايمس، وهذا امر مؤكد، فعملي في الفندق يستحيل ان يقارن بصاحب شركة ناجحة.»

قالت هيذر بثقة: «اعرفك أفضل من ذلك. وأعرف انك لا تريدين من شارلي ان يقيس الناس من خلال نجاحهم

وتقدمهم المادي. لقد اجهدت نفسك لتشجيعه كي يكون انساناً مجرداً من هذه الاشياء، فكم جلست تراقبينه في الأيام الباردة وهو يلعب لعبة كرة القدم! ولطالما حنقت وغضبت منه كلما جاءني داني متذمراً لأنني لم اذهب مثلث لمراقبته وهو يلعب. ولا تنسي بانك ادخلت ابنك نادي الشطرنج ونادي السباحة و...»

توقفت هيذر عن الكلام عندما شاهدت الامتعاض على وجه وين التي قالت: «تجعلين الأمر يبدو وكأنني أنا التي ادفعه للالتحاق بنشاطات عده. لقد اردت فقط ألا ادفعه منطويأ على نفسه ووحيداً. انت لا تشعرين مقدار صعوبة تربية طفل بمفردك.» واخذت شفتاها ترتجفان فجأة، فادركت هيذر كم ان صديقتها مضطربة ومنزعجة من عودة زوجها السابق التي لم تكن في الحسبان.

«أوه.» تمنت وين ثم سحبت محمرة ورقية من حقيبة يدها لتنفس انفها وتتابع قولها: «اشمئز من الناس الذين يستدركون عطف غيرهم. والآن، عن أي احتفال كنت تتحدثين؟ فالاحتفال بعيد زواجك مازال امامه ستة اسابيع، أليس كذلك؟»

أجبت هيذر: «نعم، ولكنني كنت افكر ان احتفل بعيدنا انا وانت.»

قطبت وين حاجبيها ثم استدركت وابتسمت قائلة: «عشر سنوات من الصداقة الطيبة... طبعاً، هذا ما تعنينه. إذن، ماذا يدور في رأسك؟»

أجبت هيذر: «أوه، لا اعرف... عطلة نهاية اسبوع في جزر هاواي... او إلى أرز لبنان وشواطئه الدافئة.»

ضحك وين لتابع هيزر متنهدة بحسرة: «لا. في الحقيقة الذي يدور في رأسي شيء، لطالما جذبني وأردت أن أقوم به، وهو تمضي يوم كامل في نادي للمصحة المائية حيث تهدأ وترتاح اعصابنا المتعبة و...»

قاطعتها وين موافقة: «مم. يبدو شيء جميل، إنما مكلف.»

أجابتها هيزر مؤكدة: «لكننا نستحقه.»

بدا الشك على وجه وين وهي تقول: «لكن شارلي يطالبني بحذاء جديد للرياضة، و...»

«لا.» قاطعتها هيزر بحزم، لكنها أضافت بلهفة: «إنك تبالغين في تدليله يا وين. ولا اعتقاد أن هناك من مانع لو تأجل طلبك بعض الشيء. لقد آن الأوان كي تهتمي بنفسك أنت.»

«ربما.» وافقت وين، ثم نظرت إلى ساعة معصمها ونهضت بسرعة قائلة: «أوه! كان علي أن أكون في عملي منذ خمس دقائق.»

مشت هيزر معها إلى سيارتها، فعندما منحها توم لونغتون تلك الوظيفة، منها أيضاً سيارة جديدة الطراز، وكانت هيزر قد اعتقدت أنه اختارها خصيصاً لoin أكثر من أن تكون لأجل أسباب تتعلق بالعمل، وكان شارلي قد عجز عن عدم رضاه بذلك أمام والدته.

وبعد أن استقلت وين سيارتها سألتها هيزر: «متى بالضبط سيعود جايمس؟»

تجهم وجه وين قائلة: «لا أعرف. فقد بدا الحذر والاحتراس على شارلي عندما سأله ذلك، لذا لم أضغط

عليه أكثر. لكن كل ما أعرفه أن عودته ستكون قريبة جداً.»

وعندما ادارت محرك السيارة، نظرت إلى هيزر ومنحتها ابتسامة بائسة وتعيسة، ثم قالت: «لماذا يا هيزر عندما يعتقد المرء بأن الأمور بدأت بالتحسن والحياة تبدو رائعة وجميلة، تحصل أمور معاكسة؟»

تألم قلب هيزر لأجلها وهي تراقبها تبتعد بسيارتها، وبعد أن عادت ادراجها تسأعلت بقلق فيما لو اطلعت وين توم بعوده زوجها السابق التي لم تكن على البال.

الفصل الثاني

انطلقت وين بسيارتها. وقد كان بعد ظهر هذا اليوم مشحوناً بالعمل والحركة المتواصلة بالنسبة إليها، خصوصاً أن جماعة من الضيوف اليابانيين كانوا قد وصلوا دون إعلام مسبق. ولحسن الحظ، تمكنت إدارة الفندق من استقبالهم. ولكن وين مرت ببعض اللحظات الحرجة والمختربة.

انها وفي كل الأحوال تحب عملها، وتواجه كل ما يطرأ عليه من جديد، بتحدٍ ورباطة جأش، كما أنها أيضاً تحب الأشخاص الذين تلتقي بهم وتتعرف عليهم بحكم وظيفتها، فتعاملهم بكفاءة وبخبرة سنواتها الطوال. أنها اليوم فخورة جداً بنفسها وبالأشياء التي حققتها، إنما الذي كان يؤلمها، أن شارلي ودون قصد منه، كان يقارن بين ما حققته في حياتها وبين الذي حققه والده.

وتندركت كم ضحكت عندما حاول والديها افهمها بأنها ستندم كثيراً على الفرصة التي فوتتها للدخول الجامعية، ولم تستمع إليها لنصائحهما التي كانت ستفرق بينها وبين جايمس لو أنها أخذت بها.

تندركت أيضاً وبعد زواجهما، كيف أن جايمس همس في أذنها في احدى الأمسىات متمنياً لو أنها أكبر سنًا بقليل، إذ أنها كانت صغيرة السن ولا خبرة لديها في أمور الحياة. كان فندق توم يبعد عدة أميال عن البلدة، والفصل الآن

كان منتصف الصيف والنبات الأخضر يلمع تحت أشعة الشمس الدافئة على جنبي الطريق، والغيوم تكلل التلال العالية في المسافات البعيدة بأبهة وجمال.

كانت وين خلال ذلك في طريق عودتها إلى بيتها وقد شعرت بانقباض في صدرها، وبالخصوص أنها ستواجه وجه شارلي المتهم. وبدافع منها تحولت عن الطريق الرئيسية إلى طريق فرعية لتوقف سيارتها قرب مرج خصيب وفتحت النافذة. كان رأسها يؤلمها بعض الشيء من ضغوطات العمل الشاق في هذا اليوم، أو ربما من المخاوف التي سببها علمها بعودة جايمس. وأغمضت عينيها لتطلق لأفكارها العناء، فشعرت ببعض الراحة، التي كانت نادراً ما تشعر بها هذه الأيام، فكأنها مازالت فتاة مراهقة لم تطأ بعد عتبة الزواج وتحلم بفارس أحلامها. ولطالما اتّهمت وهي ما زالت فتاة صغيرة السن بأنها فتاة حالمه تتّنقل بين الغيوم.

ابتسمت بمرارة للأيام والسنوات الطوال التي أضاعتها من عمرها وللحياة التي بدأت تتصارع معها في سن مبكرة وهي ما زالت لا تفقه منها شيئاً.

أخذت تذكر كيف تعرفت إليه لأول مرة، وقد كانت خارجة من أحدى الدكاكين، فاصطدمت به دون قصد، والتوى كاحلها مما سبب لها ألمًا شديداً، ولكنه عندما أخذ يعالج كاحلها المتآلم بعناية وروية، شعرت بالآلام تزول عنها فجأة كما جاءت.

وكان جايمس يسألها بقلق عما تشعر به، ولكنها كانت تشعر بانفعال شديد لقربه منها فلم تستطع اجابتـه.

وشعرت بانجذاب شديد اليه. إلى قامته المديدة والى شعره الداكن الكثيف وإلى سمرة بشرته. وكانت أصابع يده التي داوت كاحلها طويلة والأظافر نظيفة مقلمة بعنابة بالغة. كان يطوق معصم يده بساعة ضخمة. وعندما لمست دون قصد سترته الجلدية، شعرت بنعومة ملمسها، لدرجة تمنت لو بامكانها أن تمرر بأصابع يدها عليها.

لكنها وعندما لم تجب على أسئلته المتكررة حول كاحلها، نظر إليها بغيظ، ولمحت في عينيه صفاء عيني النمر الذهبيتين فشعرت بغضبة في حلقها وتماسكت أنفاسها. إنه شعور لم تشعر به يوماً في حياتها ولا تفقه معنى له، ولكنها ادركت أنها وقعت في شرك الحب.

وفي هذه اللحظات الحالمة، شعرت به يساعدها على النهوض من أمام المتجر، ويسير بها بلطف إلى حيث أوقف سيارته، قائلاً لها بأنه سيوصلها إلى بيتها. فأدركت من الأحساس التي بدأت تتحرك في نفسها، انه لو أخذها إلى القمر أو إلى أي مكان فإنها ستتصالع إلى أوامره وتتحقق به.

وعندما انطلقت بهما السيارة، علمت منه بأنه تخرج حديثاً من جامعة هارفارد، وبأنه ينوي أن يبدأ أعماله في حقل الالكترونيات، لكنه وفي الوقت الحاضر سيعمل في وظيفته في هذه المنطقة ليحضر نفسه أكثر قبل الخروج منها.

سألها عن اسمها، فأجابته وقد تورد خداها خجلاً عندما أعاد اسمها على مسامعها بعذوبة قائلاً: «وينتر. يا له من اسم فريد.»

فأخبرته بطريقة تحتاج للتعبير والخفة: «لقد ولدت في اليوم الأول من فصل الشتاء.» فلطالما اسمها الغريب اخرجها وفضلت لو ينادونها بالاسم المصطلح عليه، وين. فقال لها: «صحيح أن اسمك وينتر ويعني فصل الشتاء، ولكنك بعيدة جداً عن برونته وصقيعه.» وبينما كان يقول لها هذا الكلام، مال نحوها قليلاً متأنلاً شعرها الذي كانت تفضله دوماً مسترسلأً فوق كتفيها النحيلتين، لكنها كانت ترفعه عن جبينها بواسطة شريطة ملونة. وكانت تظن دائماً بأن تسرحيتها أقرب إلى الطفولة منها إلى النضج وتتمنى أن تقص بعضاً من اطرافه لظهور أكثر جاذبية وأنوثة، لكن أشقاءها الأكبر سنًا كانوا يسخرون منها، قائلين لها بأنها ما زالت صغيرة السن على اظهار انوثتها. ومن ناحيتها، كانت دائماً تتصالع وتذعن لآرائهم.

كان أشقاءها بعيدين عنها في ذاك الصيف. غارث، الشقيق الأكبر، كان في نيوزيلاند ليتعرف أكثر على عائلة خطيبته، والتتوأمان سيمون وفيليب، كانوا في الولايات المتحدة لأشغال خاصة. أما جوناثان الذي كان في سنته الجامعية الأخيرة، فقد ذهب مع بعض أصدقائه التلاميذ ليقوموا ببعض الحفريات الأثرية، لذا فقد كانت وين ولأول مرة في حياتها متحركة من أشقاءها الأعزاء.

في البداية، كان والدا وين سعيدين بلقائهما بجايمس، كونه أكبر سنًا وبالتالي أنس杵 وأعقل، يدرك براءتها في مثل هذا السن المبكر، أو لنقل هذا ما قالته لها والدتها وما تعتقد.

قد تكون وين بريئة وسانحة، ولكنها وقعت في شباك

الحب، ولم تستطع أبداً أن تخفي مشاعرها عن جايمس. فقد تعلقت به وظهر عليها الفرح والابتهاج كفرح الطفل بلعبته الجديدة، وكيف لا تتصرف هكذا وهي التي كان يشعرها اشقاوها دائمًا بأنها ما زالت صغيرة السن ولن تكبر أبداً، وستظل بحاجة إلى حمايتهم ورعايتهم. تعلقت بجايمس بكل احساسها وبكل خلجة من احتياجات قلبها، ورمي بأسلحة المرأة أمامه مستسلمة لرادته ولمشاوره هو دون أي مراعاة لمشاعرها، وأصطدمت بحقيقة واحدة، وهي أنها باتت لا يمكنها الاستغناء عنه ولا لأي سبب من الأسباب.

أرادته بعنف وقوة لدرجة أنه لا شيء كان يثير اهتمامها في هذه الدنيا سواه، وبالأخص أنها لم تكن لديها خبرة سابقة في مثل هذه الأمور لتجاهيها. وكل ما كانت تدركه من شدة سذاجتها أنها طالما تريده يجب عليها أن تحبه وتحبه وبقوه.

ولم يساعدها أحد ممن كانوا حولها على كشف الحقيقة لأن ما تقوم به، فهو عمل طائش يدل على عدم خبرتها في هذا المضمار. وكم بكت بحرقة وألم عندما لمحت لها والدتها ذات مرة بأن ما تشعر به تجاه جايمس ليس سوى تعلق باطل وإن الواقع في حب شخص ما، لا يعني أنها فازت بالحب نفسه، وأنها ما زالت صغيرة لتعرف حقيقة مشاعرها وتتعلق بشخص لا تعرفه سوى من أشهر قليلة. كانت وقتها قد تجاوزت سن الثامنة عشرة، ولم يكن بمقدور والديها أن يمنعها عن الزواج، وهذا ما أشارت به اليهما وقتها متحدية:

حتى عندما ناداها والدها سائلًا إياها بغضب: «وماذا بشأن دراستك الجامعية؟ وماذا عن مستقبلك؟»

كان جوابها: «جايمس هو مستقبلي..»

حتى ان جايمس اقترح عليها التمهل وأنه من الأفضل عليهما التريث، لكنها انفجرت بالبكاء والنحيب متهمة اياه بأنه لا يريدها، فأخذ يطيب خاطرها ويواسيها فازدادت تعليقاً به، رافضة الابتعاد عنه.

كان جايمس قد اتفق معها على ألا ينجحا اطفالاً في سنتهما الزوجية الأولى، ووافقته على ذلك. إلا انه وبعد مضي أشهر قليلة على زواجهما، فوجيء بها تخبره أنها حامل. صدم للأمر وغضب بشدة وانقلب حياتهما معاً بعد ذلك إلى وضع سيء ومشاكل جمة، وأصبحت الحياة بينهما لا تطاق. ثم قال لها عندما لاحظ تبدل ملامح وجهها بصوت حزين: «إنك ما زلت صغيرة السن، وأحياناً اعتقاد بأن والديك كانوا على حق وأنه كان من الأفضل لنا الانتظار. لكنني كنت أريدك بقوة....»

كانا قد ابتعا بيتاً صغيراً خارج البلدة. وشعرت وين ولفتره صغيرة بأنها في قمة السعادة فقد كان جايمس طيباً لطيفاً ويحسن معاملتها.

كان يدللها بطرق مختلفة وكأنها طفلته وليس زوجته، وكم كان يضحك لها بعطف وحنان عندما تحرق له طعامه، فيضطر إلى ان يكوي قمصانه كي لا تحرقها أيضاً. وعندما تتورط خداها من الخجل من نفسها، كانت تسأله إن كان نادماً على زواجه منها، فيقول لها بأنه لم يتزوجها لأجل مهاراتها في التدبير المنزلي.

وكان قد همس في أذنها: «لا تنسى أنك ستقضي بالجامعة بعد أشهر قليلة ولن يكون لديك متسع من الوقت لطبخ لي الطعام أو لتكوي قمصاني».

هذه كانت نقطة الخلاف بينهما، لأن وين كانت سعيدة لأنها أصبحت زوجته وأنه اهتمامها الوحيد في هذه الدنيا ولا شيء غير ذلك، ولكنه أصر على موقفه بينما هي رفضت العودة إلى الجامعة وفضلت أن تحصر اهتمامها فقط في حياتها الزوجية.

قالت له ذات يوم: «لماذا احتاج إلى دراسة جامعية الآن؟ فأنا لا أريد العمل في أية مهنة، فقط أريدك أنت وأولادنا». نظر جايمس إليها قائلاً بجدية: «أنك صغيرة يا وين، ولا تدركين ماذا تقولين، لكن في يوم من الأيام سوف...».

تناقشا في هذا الموضوع كثيراً، ولكنه أصر على موقفه وأصيبت بعد ذلك بالانفلونزا بينما كانت حاملاً بشارلي.

هل كان سبب الطلاق لأنها أخذت عنه حقيقة حملها عن تعمد وسابق قصد؟

لكنها وعندما اطلعته أخيراً بذلك، تلقي الخبر في البداية بصدمة وغضب شديدين فرأته ومن خلال دموعها المنهمرة يذرع أرض غرفة الجلوس جيئةً وذهاباً كأسد مسجون في قفص ليقول أخيراً: «لقد تسرعت بذلك يا وين. إننا بالكار نعرف بعضنا البعض».

واكتشفت مع مرور الأيام كم أنها فعلاً لم تعرف إليه جيداً.

فقد ترك عمله في البلدة ليتحقق بعمل آخر في المدينة، حتى أصبحت لا تراه الانادراً.

أما من ناحية والديها عندما التجأت إليهما تشكو وحدتها وتستدر عطفهما، وجدتها يؤيدان فكرة جايمس بأن قرار حملها كان متسرعاً، وكان يجب أن تتجنبه وتمتنع وقوفه خاصة في الوقت المبكر من زواجهما.

«بالطبع، لن أتمكن من الالتحاق بالجامعة الآن». هذا ما قالته لجايمس وارتجمت عندما لاحظت نظرته، بأنه كان يتهمها بأنها فعلت ذلك عن قصد كي لا تتحق بالجامعة كما طلب منها.

وبعد مشاكلهما الأولى في علاقتها...

وفي أحدى الامسيات جاءها جايمس ليقول لها بأنهما سيشاركان في مناسبة خاصة في الشركة التي يعمل لديها، كانت حينها في شهرها السابع وتشعر طوال الوقت بعدم الراحة، ربما لأنها كانت قصيرة القامة، وبحملها بدت أضخم مما هي عليه.

كانت وين وقتها في أشد حالات السخط والغضب منه لعدم ترحيبه بطفلها الأول، وعندما حاول أن يقترب منها نفرت منه وابعدته عنها، ولم يحاول بعد ذلك ثانية، فالماء ذلك وعذبيها. لكن كرامتها منعها من أن تجد الكلمات المناسبة لتقول له بما تشعر به. واعتقدت وبأسى و Yas شديدين بأنه لن يتقرب منها بعد الآن بسبب حملها وضخامتها.

ولاحظت في أحدى الحفلات الراقصة التي تقيمها شركته سنوياً، الطريقة التي تنظر بها إليه تارا سيمونز، والطريقة التي تقف بها قريبة منه، ثم بالطريقة المتعهدة التي تبعد بها وين عن الحديث، وبالطريقة الخبيثة في احباطها عندما

تتحدث عن مؤهلاتها. فتحديث جايمس بذكاء ومهارة عن عمل تارا، وهو موضوع أبعد وين عن مشاركتها به كلياً، لأنها لا تعرف ولا تفقه أي شيء في حقل الالكترونيات ففهمت وين بإحساس المرأة الذي لا يخطئ، بأن تارا تريد جايمس، كما أنها أدركت وبالرغم من انكار ونفي جايمس بأنه كان يجدها جذابة. وكيف لا يجدها كذلك؟ فتارا فتاة طويلة القامة ذات شعر أحمر، وعيانها خضراء واسمعتان وفي غاية الجاذبية والأنوثة، حتى أن وين يمكنها أن تلمس ذلك.

اتسعت رقعة الاختلاف بينهما وكبرت، وأصبح جايمس ينام في الغرفة الاضافية كي لا يزعجها، أو هذا ما أدعاه عندما تمكنت من مواجهته بالسؤال عن ذلك.

أنت والدتها لزيارتها دون أن تتوقع مجئها، وكان ذلك يوم السبت، وجايمس غير موجود مدعياً أنه مضطر للذهاب إلى المكتب، فاتصلت وين بالمكتب عندما لاحظت بأنه لم يقل لها متى سيعود، لكنها أعادت سماعة الهاتف إلى مكانها عندما جاءها صوت تارا عبر الاسلاك الهاتفية وهي تشعر بالنار تتأرجج في صدرها.

سألتها والدتها بقلق حالما فتحت وين لها الباب: «وين، يا عزيزتي، هل أنت بخير؟»

ورأت وين فجأة حقيقة مظهرها من النظرة التي تلقتها من والدتها. فقد وجدت ابنتها منكوشة ومتتسخة الشعر، وثيابها أيضاً متتسخة وغير مكونية، وغير معتنية بوجهها تلهث بسبب حملها.

ازداد تجهم وجه الوالدة عندما وجدت حالة الفوضى في

غرفة الجلوس واكواام الثياب التي تحتاج إلى الغسيل، والأطباق والطناجر المتتسخة والمكداة في المطبخ. وباختصار كان البيت وابنته في حالة تثير الذعر والقرف في النفوس. والسبب في كل ذلك، ان وين كانت تشعر دائماً بالتعب من حملها. لكن وعلى أية حال ما همها حالة البيت طالما أن جايمس غائب عنه دائماً؟ فنادرأ ما يكون جايمس فيه، وإذا صادف وجود فيه، كان يبدو لها بأنه يفضل ألا يكون معها. لقد لاحظت الطريقة التي كان ينظر فيها إليها في بعض الأحيان، عابساً في وجهها وكأنه لا يعرفها، فبدون شك انه يتساءل في نفسه: لماذا تسرع وتتزوجتها!

فمن دون شك كان يفضل الزواج بفتاة مثل تارا التي بدهائها وذكائها كانت قد أجلت الحمل في الوقت الحاضر لو كانت مكانها. أنها تشبهه في كل الأمور ومتخرجة مثله من الجامعة ولديها مهنة تعتز بها. على أية حال، كانت وين ستلتحق بالجامعة هي أيضاً لو أنها لم تلتقط به.

لقد التقت بزميلتين لها من زملاء المدرسة منذ بضعة أيام، فدهشتا وأشفقتا عليها عندما وجدتا أنها حامل. وبمساعدة والدتها، تمكنت من إعادة تنظيم وترتيب البيت ومن غسل شعرها. وأظهرت رغبتها في أن تقضي قصة قصيرة، ولكنها تذكرت بأن جايمس قال لها مرة بأنه يحبه طويلاً وكثيفاً.

ترقرقت الدموع في عينيها وتساءلت عمّا حل بهما، وبحبهما؟

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر، عاد جايمس إلى البيت،

فرأت وين الارتياح والسعادة في عينيه عندما وجد النظافة والترتيب فيه، وبالأخص أنها قد غسلت شعرها، فتقدمنها وضع يديه على كتفيها، فعقبت رئتها برائحة عطر نسائي فاحت منه. أنها ليست بالمرة الأولى التي تشم بها ذلك العطر، كما أنها كانت تؤكد أيضاً أنها قد نقلت عن تارا. دفعته عنها بقوة، وقد توردت وجنتها ألمًا وغضباً بينما أخذت تصرخ في وجهه: «لا تلمسني! لا أريدك أن تلمسني!»

وبعد أقل من شهر من ذلك الحادث، حان موعد الولادة وانجبت شارلي، بينما كان جايمس بعيداً عنها مع تارا. لم ير جايمس شارلي إلا بعد أن أصبح عمره يوماً كاملاً، ولن تنسى وين كيف نظر إلى الطفل وهو مقطب الوجه عاقد الحاجبين، وإذا صح التعبير لم ير غب في النظر إليه ولا في أن يحمله بين يديه، ثم أسرع بالخروج عندما حان الوقت لاطعامه.

تألمت وين كثيراً من معاملته الشاذة. لقد انتظرت منه أن يظهر لها ذرة عطف وحنان، وكم تمنت لو أنه يؤكد لها بأنه لا يزال يحبها وسوف يحب طفلها، ولكنه لم يبادر بشيء من ذلك.

أرادت أن تترك شارلي في سريره الصغير في غرفتهما، لكن جايمس أصر على أن يترك في غرفته الخاصة. وعندما أصيب شارلي بمرض شديد في إمعائه، أخذت تصرخ في وجهه تلومه بأن ذلك بسببه، فلو سمح بابقائه إلى جانبها في نفس الغرفة لما أصابه مثل هذا المرض. لكنها أدركت بعد أن نطقت بهذا الكلام، وكان قد فات

الأوان على الندم عليه، إنها كانت غير عادلة في تصرفها، ولكن ومع ذلك ما الذي كان قد تغير لو أنها لم تفعل ذلك؟ فجايمس لم يعد يحبها، وهي متأكدة من ذلك.

وتأكيداً على ذلك، لم يعد جايمس إلى البيت ولا ليلة بعد ستة أشهر من تلك الحادثة.

وفي صباح أحد الأيام، رن جرس الهاتف، وتعرفت وين حالاً على صوت المتصلة، وكانت تارا تتكلم بصوت دافئ وناعم.

«إذا كنت قلقة على جايمس، فاطمأنني بأنه لا داعي لذلك. لقد أمضى ليلة البارحة معي. لا شك انك تفهمين ماذا أعني، أليس كذلك يا وين؟»

أعادت وين سماعة الهاتف إلى مكانها دون أن تتفوه بكلمة واحدة، وقد شعرت بالألم يسحقها، بينما أخذ قلبها يتآلم بشدة لم يصبها من قبل في حياتها. إنها وبديها الاثنين وضعت جايمس في زورق واقتصرت عنها إلى أبعد المحيطات. فأخذت الدموع تنهمر بغزارة على خديها، ولما عاد جايمس إلى البيت طلبت منه الطلاق.

حاول أن يناقشها في هذا الأمر، لكنها رفضت أن تصفي إلى كلمة واحدة، يتفوه بها، حتى أنها لم تذكر له شيئاً عن علاقته بتارا، لأن كرامتها كانت تحول بينها وبين البوح بذلك، فكرامتها عزيزة عليها كما حزنها وألمها إلى ما ألت إليه الأمور.

لقد أدركت من نبرة صوت تارا عبر أسلاك الهاتف، كم كانت هي هائمة به، وبشكل كبير، الشيء الذي دعاها إلى عدم التساهل في موقفها في طلب الطلاق منه.

وافق والدها على قرارها هذا، ولكنها أشارا إليها أن شارلي يحتاج إلى الرعاية والاهتمام، ولذلك عليها ان تفك ملياً في قرارها. ولكنها تصلت في موقفها طالبة أن يخرج جايمس من البيت وعدم رؤيته من جديد.

مررت طائرة في الجو جعل هديرها تستفيق من ذكرياتها المؤلمة، فتحركت منزعجة في مقعد سيارتها. إنها ومنذ فترة طويلة لم تسمح لنفسها بالغوص في حياتها الماضية، أو حتى أن تفكر بها بهذا العمق. وكانت عادة كلما تذكرت أي شيء منها، تعيدها بقصوّة إلى ماضيها الحزين، فتقضيها وتبعدها وتشغل نفسها بأمور أخرى. والآن وكامرأة ناضجة وبعد أن كان ما كان، ادركت كم كانت سانحة وعديمة الوعي والتفهم، كم كانت مدللة وأنانية بطرق شتى.

تجهم وجهها أكثر وهي تستعرض بالذكرى حياتها في مستهل انطلاقها تقارنها بالنضج والمعرفة التي اكتسبتها في السنوات المنصرمة.

لقد كان والدها على حق بخصوص زواجها أولاً ومن ثم أمومتها. الآن، وعلى سبيل المثال فهي لن تقبل على نفسها في ألا تسأل زوجها عن الساعات التي يقضيها في عمله والتي كان يخدعها بها، كذلك لا تقبل في أن تتصرف بمثل تلك الطريقة الطفولية وقصر النظر، ولا ان تقبل بان تقلل من قيمة شخصيتها فتهملها وتهمل بيتها، ولا ان تقبل في أن تفوت عليها الفرصة في بناء مستقبلها وحياتها.

كذلك ايضاً، لن تقبل في أن تنغمس كلياً في شؤون طفلها

الذي لم تتجاهل فقط والده، بل أنها تركته واقتصرت بعيداً عنها.

عادت تتسلل وبين بانز عاج في مقعد سيارتها، لتدرك أن أفعالها وتصرفاتها الشاذة هي التي فرقت وأدت إلى توسيع رقعة الخلاف بينهما.

في الواقع، لم يكن جايمس مستعداً لإنجاب الأطفال، لذلك فإنه رفض شارلي، وفي المقابل، اعتقادت وبين بعد الذي جرى بينهما بأن كل ما كان يريده منها، وهو علاقة الزوج بزوجته حسياً لا أكثر من ذلك، ولهذا السبب فقط أقنع نفسه بحبه لها.

على أية حال، مهما كان السبب الرئيسي لزواجهما، فقد انتهى الآن، وفي الواقع، لم يعدل له أي وجود. فنوع العلاقة التي جمعت بينها وبين جايمس، لم تكن بالتأكيد ما تعيه وتدركه الآن، أو بالأحرى نوع العلاقة الحقيقية التي تريدها المرأة من الرجل.

لقد كانت ذليلة جداً في حبها، ومنفلقة جداً، وعاطفية جداً بنواح عديدة، وهذا ما لن تكون عليه الآن. لقد غيرتها الأمومة ودفعتها لتضع كل ما يحتاجه الطفل فوق احتياجاتها.

وكونها الصغرى بين أفراد أسرتها، جعل من أشقاءها بأن يعاملوها وكأنها حيوان أليف أكثر من كونها إنسان بشري. تذكرت ذلك بالم واسمهنّاز، فهذا خطأ وذنب، وبقدر ما هو ناجم عنهم، فهو ناجم كذلك عنها.

انهم لا يتصرفون معها الآن كذلك.

ابتسمت وبين وقد تذكرت مدى دهشتهم عندما لاحظوا

الطريقة التي تبدلت فيها، بتحليلها الجديد، وادراكها ووعيها حقيقتها وحقيقة غيرها، وادعائها الهدىء والرصين في حقها في كسب احترامهم ومحبتهم لها. لا. إنها لن تقع في نفس الأخطاء التي أوقعت نفسها فيها مع جايمس مرة أخرى.

مرة أخرى... ارتعش قلب وبين بقوه. أنها ولغاية الآن لم تجرؤ على اطلاع شارلي بأن توم قد تقدم منها رسمياً، حتى إنها لم تقرر بعد إن كانت ستتوافق على طلبه أم ترفضه. إنه يعجبها، وتعجبها طريقة اجتهاده ونجاحه في العمل، حتى ولو أنها وفي بعض الأحيان تجفل من تصرفاته، ولكنها لا تشک ابداً في حبه لها.

هل أحبته يا ترى؟

أخذت تنظر إلى السماء مفكرة، فمنذ ثلاثة أشهر وحيث كان شارلي متغيباً عن البيت في رحلة مدرسية، وجدت وهي بمفردها أنه يصعب عليها أن تقوم بأية علاقة عاطفية مع توم.

فبالنسبة إليها، إنها المرة الأولى التي تميل بها إلى شخص آخر بعد جايمس، ربما لأنها الآن أكبر سنًا وادراكاً ووعياً، ولم تعد تنظر إلى الحياة بمنظار مفروش بالورد والرياحين، فالتجربة التي مرت بها جعلتها قوية وشجاعة لتواجه أي طارئ قد يستجد عليها في المستقل.

أما من ناحية توم، فقد كان متقدماً، ومهتماً بكل شيء، ومن المؤكد أنه ذو خبرة واسعة في شؤون الحياة. إنها لم تتوقع منذ أن افترقت عن جايمس بأن الحب سيطرق قلبها من جديد، وبأن مشاعرها ستتحول إلى شخص آخر.

أدارت محرك السيارة، وفي رأسها سؤال واحد، اذا وافقت وتزوجت من توم، فهل هذا سيؤثر على شارلي ويشهده إلى العيش مع والده؟ لو أن توم فقط يقلل من قساوته نحو شارلي، ويتفهمه قليلاً، ولو أن شارلي لا يكون عدائياً في أغلب الأوقات فلا يذكر اسم جايمس كلما كان توم معهما.

ارتجلت مشاعرها عندما تذكرت تعليق توم الغاضب بأنه يشكر القدر على وجود جايمس في استراليا. ومما قاله لها أيضاً: «لو كان جايمس عظيماً كما يظنه شارلي، فيا للعجب كيف أنه لم تعاودي الزواج منه».

شعرت وبين بأنها مجبرة بعاطفة الأمومة ان تقف موقف المدافع عن ابنها قائلة: «لكنه والد شارلي».

وعندما حاولت أن توضح لشارلي قائلة انه ليس الصواب ذكر اسم جايمس كلما تواجه معهما توم، أجابها شارلي بعناد: «ولماذا لا أفعل ذلك؟ فهو والدي».

المشكلة تكمن في أن شارلي أصبح يافعاً ويبدو عليه أنه يريد حمايتها تماماً كما كان يفعل اشقاؤها بها.

ولكنها الآن تعلمت مما فاتها ولن تكرر القصة نفسها، لذا فمهما كانت تحب ابنها الوحيد، فهي لن تسمح له بأن يتدخل في شؤون حياتها الخاصة، وبمن قد تختاره من أصدقاء حتى لو انهم لم يعجبوه. كما أن ذلك سيكون درساً مفيداً له بالذات وللإنسانة التي سوف يختارها في يوم من الأيام لتكون شريكة حياته.

لكن ومع كل ذلك كانت تجد أنها ليست بالمسألة السهلة لتجعله يوافق على حقها في اختيار توم صديقاً لها، أو ان يقبل به زوجاً لها وأباً ثانياً له.

وعندما انطلقت بسيارتها، تناهى إلى سمعها ساعة البلدة تعلن الوقت. لقد كان شارلي يمضي فترة بعد الظهر في منزل صديق له لمشاهدة لعبة كرة القدم معاً على شاشة التلفاز، ويبدو أن والد صديقه سوف يعود إلى البيت.

ولما أرادت أن تتأكد من ذلك، ثار غضبه وهو يذكرها بأنه أصبح مسؤولاً عن نفسه ولم يعد طفلاً.

كانت ما زالت تسكن في البيت الذي اشتراه جايمس عندما تزوجا. وهذا البيت يشبه عدة بيوت أخرى ويشرف من الخلف على حقول خضراء متراصة الأطراف، وكذلك له حديقة لا يأس بها. وفي السنة الماضية، دهنت بمساعدة شارلي البناء الخارجي، عمل لم يفرح كليهما به، ولكن وين شعرت بأنهما أجاداه اجادة تامة.

تضائق توم وقتها من ذلك. انه باستطاعته ان يرسل اليها أحد عماله ليقوم بمثل هذا العمل، لكن وين رفضت، ذلك لأنها كانت قد تعلمت بأن تكون مستقلة بكل أمورها، فقد تغيرت عن تلك الأيام التي تعودت فيها ان تعتمد وتتكل على الآخرين لدرجة أنها كانت تسمح لهم باتخاذ قراراتها.

كانت هناك سيارة متوقفة أمام بيتها وتدل من مظهرها الجميل أنها من النوع الباهظ الثمن، فاضطررت إلى الوقوف وراءها.

كان شارلي يملك مفاتيحه الخاص للبيت. من المؤكد ان والد صديقه قد أوصله وقد دعاه شارلي إلى الدخول وذلك من باب الأدب، فعليها الآن ان تعذر لتأخرها، وتمتن ألا يحكم عليها والد الصديق بالأم الغير مثالية، إذ كيف تسمع بأن يعود ابنها إلى البيت وهي غير موجودة.

كانت قبل الآن تجد انه من الصعب عليها أن تخف من وطأة الذنب الذي شعرت به في البداية عند استلامها عملها الجديد، لكن هيزر وبختها على طريقة تفكيرها هذا.

ومما قالت لها: «يمكن لشارلي ان يأتي إلى بيتنا لساعتين من الزمن اذا دعت الحاجة، فأنتم تعلمون انك بحاجة لهذا العمل يا وين ليس فقط من اجل المال، بل لنفسك وذاتك أيضاً. لقد ندرت نفسك ووهبت كل طاقاتك من اجل شارلي عندما كان في أمس الحاجة إلى ذلك، وتذكرني انه بعد سنوات قليلة سيرحل ويبعد عنك».

ومع أنها كانت تدرك حقيقة تلميحات هيزر، ومع أنها كانت تدرك أيضاً بأنها وشارلي قد استفادا من الاستقلالية التي منحتهما إياها هذه الوظيفة، كانت وين ما زالت تشعر بالذنب الشديد.

تمكنت من سماع صوت التلفاز عندما دخلت ردهة البيت، وكان باب غرفة الجلوس مفتوحاً، ومن خلاله تمكنت من سماع صرخ شارلي المبتهج.

«هكذا يكون اللعب! هل شاهدت ذلك يا أبي؟ هل شاهدت كيف رفس الطابة إلى الهدف؟»
أبي!

تجمد الدم في عروق وين، وكأنها أصيّبت بشلل تام، وتلك الصراخات المتلاحقة في داخلها توقفت وهدأت.

«انه بالفعل يتمتع بمهارة نادرة».

انها لم تسمعه يتكلم لأكثر من عشر سنوات، ولكنها كان بإمكانها ان تتعرف الى صوته من بين المئات... لا بل من بين الآلاف. صوت عميق مؤثر، بكلمات حازمة ومعدودة،

لكن ليس من أثر للكنة الاسترالية، وبين نفس النبرة المعسولة التي كلّمها بها ذات مرة عندما قال لها كم وكم يريدها، وكم يحبها.

انه نفس الصوت الذي جاءها بارداً وقاسياً عندما اتهمها بالحمل الذي يرفضه.
تمالكت أعصابها من قساوة الصدمة لمجيئه المفاجئ، وأخذت نفسها عيماً، ثم دفعت بباب غرفة الجلوس ودخلت اليها.

لقد تعلمت وين من خلال تجاربها السابقة كيف انه من المهم جداً ان تحافظ على رباطة جأشها في مواجهة المصاعب التي قد تفاجئها.

ودون ان تنظر إلى شارلي وجهت كلامها إلى جايمس ببرودة: «ماذا تفعل هنا يا جايمس؟»

رأت ومن زاوية عينها الدم الذي تدفق في وجه شارلي، الذي بدا قلقاً وحزيناً، ولكنها اجبرت نفسها على تجاهل ما رأت، وركزت كل انتباها على الرجل الذي اخذ يتململ في مقعده ومن ثم وقف امامها.

كانت تفضل لو انه بقي جالساً في مكانه، وتمالكت نفسها في عدم الرجوع خطوة واحدة إلى الوراء، لذا تسمرت في مكانها لأنها تمثال حجري يتحدى الزمان جيلاً بعد جيل.

ونظرت إليه مباشرة بحد وعداء لم تستطع اخفاءهما. شاهدته ينظر نظرة خاطفة في اتجاه شارلي، فتضاعف حقدها وعداؤها، وتعجبت كيف يجرؤ على الاستعانة بابنها ك وسيط بينهما. كيف يجرؤ وفي المرتبة الأولى ان يكون داخل بيتها؟ ولماذا جاء إلى هنا؟ ومن غير المعقول ان يكون قد علم مسبقاً بأنها غير موجودة، الا اذا ...

تصلبت وين في وقوتها تقاوم الرغبة في ان تستدير وتنتظر إلى شارلي نظرة ذات معنى، فقد أدركت بسبب ارتباكه انه مذنب في حقها.

الفصل الثالث

هل كذب شارلي عليها بخصوص الموعد الذي يربطه بصديقه بعد ظهر هذا اليوم؟ هل كان يعرف مسبقاً بمجيء والده، فاتفقا على اللقاء هنا؟ هذا ما أخذت تسأل به نفسها وهي غير مصدقة.

تقدّم شارلي ليقف إلى جانبها قبل أن يتمكن جايمس بالتفوه بأي كلمة واحدة.

قال لها شارلي: «قلت في نفسي انه بامكانه المجيء إلى هنا. على كل حال، هذا بيتي أيضاً وهو أبي..» كان يتكلم بنوع من التحدي، لكن بالرغم من كل هذا التحدي، كان أقرب إلى البكاء منه إلى الشجاعة. فتمالكت اعصابها كعادتها.

قررت أنها ستتكلّم معه لاحقاً فيما إذا كان هذا بيته أم لا، وبأنه قد أخطأ بالتفوه بهذا، ولكنها لن تعرّضه للإحراج الآن أمام جايمس. قالت بكل بساطة: «هذا بيتك أيضاً يا شارلي..»

لاحظت وبعد أن حولت نظرها إلى جايمس بأن هذا الأخير كان ينظر إليها بامتعان يتفحصها وهو مقطب الجبين. فكرت بالمحظوظ أنه ربما كان يتساءل ما الذي أعجبه فيها. أنها وبالتأكيد ليست بمستوى تارا المثقفة، فتساءلت ماذَا حل بتلك المرأة يا ترى؟

لم يتزوج جايمس بعدها. وحتى لو انه كان يوجد امرأة في حياته، لكن عرّفها على شارلي عندما سافر إليه ليقضي إجازته معه.

اعتذر جايمس بإيجاز: «آسف. لم اكن اعلم بأنك لست على علم بموعد عودتي..»

اجابت ببرودة: «كنت اعلم بأمر عودتك إلى هذه المنطقة، ولكن لم اكن اتوقع بأنني سأعود إلى البيت لأجدك في غرفة جلوسي..»

ضغطت على الأحرف الأخيرة من لفظها الكلمة (جلوسي)، وشعرت برضى تام وسعادة عندما لاحظت التبدل في ملامح وجهه. اذاً فانه يتأثر ويدرك متى يكون مذنبًا خاصة عندما يستغل الظروف لصالحه حتى ولو على حساب غيره. عظيم. ثم تابعت برقة: «حسناً. لن نؤخرك، فانا متأكدة بأنه لديك اعمال مهمة..»

لم تفوتها النظرة التي تبادلاها الأب والابن، فشعرت بقشعريرة باردة تسرى في عروقها.

ثم اعلن شارلي بنوع من الثورة والتحدي: «سینتقل ابى للسكن هنا بيننا، وقد قلت له انه لا عليك من ذلك..»

شعرت وبين وابنها يفاجئها بهذا الخبر انها سيفهمي عليها، وقد ادركت ان ابنتها تجاوزت كل الحدود هذه المرة. وسمعت جايمس وهي على هذه الحالة المروعة يقول: «آسف. اعتقدت انك كنت تعلمين. في الواقع...» توقف عن الكلام فجأة، بينما كانت وبين تنظر إلى ابنتها غير مصدقة. كان شارلي يعلم ان آخر ما تمناه والدته في هذه الدنيا، ان يعيش جايمس معهما تحت سقف واحد، وآخر ما كانت تتوقعه ان يخدعها هو بهذه الطريقة المعتمدة.

ولكنها ولو كانت تشعر بالغضب من تصرف شارلي، فإن هذا لا يساوي شيئاً من المرارة والحدق على جايمس نفسه، ولا بد ان جايمس ادرك الان كذبة شارلي عندما ألمح له بأن والدته لن تمانع دخوله.

نعم، من المؤكد انه ادرك ذلك، فذكاوه الشديد لن يدعه في ان تمر عليه مثل هذه الكذبة.

قالت بعد ان اخذت نفسها عميقاً: «اذا كانت هذه مزحة يا جايمس...»

فقطاعها جايمس قائلأً: «ليس لدى علم بذلك.»
«حسناً. من المستحيل ومن غير الممكن ان تبقى هنا.»
قال شارلي: «ولماذا لا يمكنه؟»

التفت وين نحو ابنها وقالت: «شارلي. انك تعرف حقاً لماذا لا يمكنه. اننا مطلقان، هو... وانا...»

«حسناً. ولكن هذا لا يعني بأنه ليس بأبي، وانك تريدين الزواج من شخص آخر.»

شعرت وين بالخيبة واليأس تغمران قلبها، فهي لم تتكلم بخصوص توم مع شارلي بعد، حتى أنها متأكدة بأن لا علم لشارلي بتفكيرها بالزواج من توم، ومع ذلك ها هو يتهمها ويقف أمامها متحدياً ويقول امام جايمس بأنه يرفض والدأ جديداً.

وابع شارلي يقول بالحاج وعناد: «اريد ان يعيش والدي معي هنا. ففي كل الأحوال، هذا بيتي أيضاً.»
«وب بيتي انا أيضاً.»

نطق بكلماتها تلك بصوت منخفض وناعم لم يسمعها احد سواها. ثم ادارت برأسها ببطء من ابنها إلى زوجها السابق، واخذ قلبها يخفق بشدة لهذه الصدمة. ماذا كان يريد جايمس ان يقول؟ وما نوع التهديد الذي يهددها به؟ أو هل انه يريد لها ان تخرج هي من البيت ليعيش وحده مع شارلي؟

شعرت بالخوف والوجل وبالانهيار القائم لهذه التساؤلات التي اخذت تتضارب بعنف في رأسها.

اهذا ما حيك من ورائهما؟ خدعة ماكرة وخبثة تقوى وتعزز الحق بنصيب جايمس في البيت؟ انها خطة مدبرة توقع الخلاف بينها وبين شارلي، وعندما يدفعها جايمس للخروج من حياة ابنها، وستجد نفسها مجبرة على الانتقال إلى العيش في احدى غرف فندق توم وهذا ليس بالأمر السهل عليها. نعم هذا ما ينوي جايمس ان يفعله وهذا ما سيحدث. علاقتها مع شارلي تمر في مرحلة دقة جداً، فالرجل الذي يطالب به ليعيش معه، يكون والده... ربما أراد معاقبتها لأنها يكره ويشتمز من العلاقة التي تربطها بتوم، أو ربما لأنه في سن يحتاج فيه لأن يكون قريباً من والده. وضاعت في تساوؤلاتها، ولم تجد فيها مخرجاً واحداً. على أية حال، السبب الحقيقي لا يهم ولا بشكل من الاشكال. انما الذي يهم فعلاً، ألا تسمح لعواطفها ان تخضع وتنهار فتوقعها في مشاكل قد تندم عليها آجلاً.

قالت بعد ذلك بهدوء وضعف: «لا اصدق بأنك تريد البقاء هنا يا جايمس.»

اجابها جايمس مشيراً إلى ولده: «لا؟ ولكن ابني يعيش هنا. ولهذا السبب، قررت ان امضي معه بعض الوقت وهذا سبب عودتي.»

امسكت وين بظهر الكرسي لتحمي نفسها من السقوط، وهي تتنفس وترتجف من عوامل شتى، ومن خوفها الشديد، اكتشفت بأنها قريبة بأن تفعل شيئاً لم تقم به منذ عشر سنوات، ألا وهو النحيب والبكاء.

ولكنها تراجعت عن ذلك لأنه ليس بالوقت المناسب، وليس امام هذا الرجل. فأخذت نفسها عميقاً وقالت له وكأنها تدينه: «أرجو أن لا تعتقد بأنني لم ادرك ما تنوي فعله يا جايمس، ولكنك لا ولن تفوز وتنفذ بما تفكّر به.»

ثم حولت نظرها إلى شارلي وقالت بشيء من السخرية: «حسناً يا شارلي. أنت تريدين ان تستضيف والدك، فعليك ان ترشده إلى الغرفة الاضافية في الطابق الأعلى.»

قال جايمس بنبرة ساخرة: «سبق لي معرفتها. أنها الغرفة التي كانت يوماً خاصة بنا نحن الاثنين على ما اعتقد. كنت اعيش في هذا البيت، هل نسيت؟ وبالاضافة... لقد سبق لي

ولشارلي ان نقلنا حوانجي إليها،ليس كذلك يا ببني؟» اضطررت وين ان تشيح بوجهها عنه كي لا تخونها عواطفها.

ثم قال شارلي فجأة: «أمي... أشعر بالجوع.» تساءلت وين وقد شعرت باليأس الشديد، كيف يمكنها ان تتفادى الصدمة المفاجئة ليس فقط لوجود زوجها السابق هذا في هذا البيت، بل لقراره في الانتقال إليه وقد عقد النية انه منزله، وحتى كيف ستتمكن في الاهتمام بتحضير وجبة طعام له.

تمنت لو ان بامكانها ان تخرج من هذا البيت وتهيم على وجهها في الأرض لكن ذلك اهون واحف عذاباً عليها، ولكن هل يمكنها ان تنفذ ذلك؟ أنها حتى لا يمكنها ان تقفل عليها باب غرفتها دون ان يلاحقها شارلي باسئلته عما تفعله في الداخل، ومن دون شك سيفهم جايمس كم هي ضعيفة ولا تقدر ان تتحكم بمشاعرها.

من المؤكد انه يستطيع التحكم والسيطرة عليها. منذ متى ابتدأ يخطط بذلك مع شارلي يا ترى؟ يعلمه ويتأمر معه على ان يعصي اوامرها، فيخللها ويكذب عليها؟

هذا ما كان يؤلمها ويحزنها اكثر من اي شيء آخر، ان يبدو والد شارلي أنه هو البطل والمحب، وانها قد قتلت الثقة والاحترام اللذين كانت تعتقدهما في الوالد والابن تجاهها، والذي دفع شارلي إلى خداعها وتضليلها، وادراكه بأنها لم تكن لتوافق على القبول بجايمس معهما فيما لو فاتحها في الموضوع.

وتركت غضبها ليس على شارلي فقط، بل على والده أيضاً. ما جنته يداه كان خطأ، لكن جايمس هو الأكبر والأنضج، ولقد تعاون وتأمر مع ابنهما وجعله مخادعاً، لا بل شجعه في الكذب عليها. لقد تناهى وتجاهل مسؤولياته كلياً كوالد ناخص.

كيف سيقدر ويقبل بالصدق بعد الآن، بعد ان علمه والده على المراوغة والمخادعة.

انها تشعر الآن بجو خانق وبخيبة امل وبالم سحيق يقع على رأسها. فكم وكم حاولت ان توجه شارلي نحو القيم والمبادئ التي تحترمها وتؤمن بها والتي في غاية من الأهمية. ولم يكن الأمر بهذه السهولة. فقد كان شارلي يثور احياناً لكرامته كونه ذكراً، ولم يكن يرحب دائماً بمثاليات وين الصارمة، وبالأخص أنه الآن لم يعد صغيراً وقد أصبح اكبر سنأ، مما سببت لها هذه الأمور مؤخراً ازعاجاً وعدم ارتياح وهي تراه يفضل ان يتبع نظرياته الخاصة، اكثر مما يصفى اليها.

لكنها عندما تباحثت بهذا الأمر مع صديقتها هيزر، اشارت عليها هذه الأخيرة ونصحتها بالاتصال وتنزح لهذه الأمور.

ومما قالت لها في محاولة لتهيئة هواجسها: «ان ابني داني يتصرف تماماً كما يتصرف ابنك وهذا ما يحدث عادة، وكذلك مع أولاد الآخرين... واعتقد انهم يلعبون معنا لعبة ما في الصغار...»

سألتها وين وقتها: «أرجو لا تفكري بأن ذلك يحصل لأن شارلي يعيش دون أب؟ ان كل ما اقوم به في هذه الأيام يبدو لي غير مناسباً يا هيزر. وأراه يفضل ان يصغي إلى اساتذته اكثر مني، لكونهم رجالاً، واقرء طريقة ازدرائه لكل امرأة... وقد سألت نفسي ولمرات عديدة، هل انتي وبطريقة ما، او عزت إليه بالفكرة ان المرأة تعتبر في المرتبة الثانية بعد الرجل؟»

أجبتها يومها هيزر: «اعرف ماذا تقصدين. وكما قلت لك، ابني داني يتصرف بالمثل في الوقت الحاضر. ولقد ضبطه الأسبوع الماضي يقول لابنتي جيني، انه لن يساعدني بغسل الثياب بعد الآن، لأن هذا العمل من واجبات المرأة فقط... وما افهمه، انه يتصرف ويقول اشياء بحكمه شيئاً سينمو ليصبح رجلاً. ولحسن الحظ أنها مرحلة استثنائية يمران بها وسيخرجان منها آجلاً. انتي متأكدة ان داني سيتغير بتوجيهاتي أو بتوجيهات جيني..»

تظاهرةت وين بالضحك، كأنها تحاول ان تقبل بتأكيدات صديقتها لها وبأن شارلي ينمو ويحاول ان يثبت رجولته.

قالت لها هيزر وهي تهم بالخروج: «اعرف ان هذه

المرحلة صعبة، وكم انهم يكبرون بسرعة... ولكن وبطريقة ما، فإن الصبيان الصغار عادة أكثر حباً بالاستقلالية من البنات الصغيرات... ولكنهم وبعد ذلك تجدنهم يتعاملون معك وكأنك عنصر غير مهم في هذه الحياة. صدقيني يا وين، المسألة ليست انك اخطأت أو لم تخطئ في تربيته. ولا يخفيك الأمر، لقد اشرت لزوجي ريك بأننا قد نستفيد في تغيير وضع داني، لو انه ساعدني في بعض الاعمال المنزلية».

ما قالته هيزر زاد من مخاوفها وشكها بشكل ملحوظ، هذا ما توصلت وين إليه الآن. هل اذنت لأنها منعت شارلي من حقوقه كصبي؟ وهل هي الملامة في ابعاده عنها؟ لقد حاولت قصارى جهدها، وكانت هيزر خير معين لها، وكانت تضم شارلي إلى اولادها في نزهاتهم كي لا يجعله يشعر بالوحدة التي يشعر بها عادة من ليس له أخوة ولا أخوات.

ولقد كانت في راحة بال اكبر لو ساعدتها zaman وكان اشقاوها واولادهم يعيشون قربها في نفس البلد وليسوا متوزعين في بلدان العالم، فإمكانيات وين المادية لا تسمح لها بالسفر إليهم من وقت آخر.

مرة، ومنذ اعوام مضت، عندما كانت وين بحاجة إلى معطف، اعترضتها هيزر مؤنثة بأنها لو حاولت التخفيف عن شراء ملابس ثمينة لشارلي، وكانت تمكنت من شراء شيء لنفسها. وخبرتها وين بأنها تشتري ملابس شارلي من المال الذي يرسله لها والده، فكرامتها لا تسمح لها بأن تصرف قرشاً منه على نفسها، والمال الذي يبقى والذي لم

يصرف على شارلي، كانت تضعه في حساب خاص باسمه في المصرف.

«هل ستتناول الطعام معنا؟»

سألت جايمس فجأة، ولكنها حالاً ندمت موبخة نفسها على ما فعلت. كان من الأجرد بها أن تتجاهله، وان تجعله بعيداً عن الإلفة والمودة في حياتها مع شارلي في بغباء شديد منها، جعلت الأمور أسهل بالنسبة له ليتجرأ ويقحم نفسه في حياتهما.

انها لم تكن أبداً على خطأ. فرجل بثراء جايمس، من الصعب عليه ان يقبل في ان يعيش في بيت كهذا، وفي منطقة كهذه، فهو من المؤكد قد تعود على الحياة المترفة في جناح احد الفنادق ذات المستوى الرفيع، ويقوم الخدم على خدمته اربع وعشرون ساعة. لكن، وعلى ايّة حال، لن يكون الأمر كذلك هنا.

وفي محاولة منها للتراجع عما قالت،تابعت تقول بعدم اهتمام: «يحال لي انك تفضل ان تتناول طعامك في الخارج، فلدي أنا وشارلي وجبات متواضعة، وهذا المساء بالأخص، سنتناول طعاماً بارداً. كما وانتي ساخراً بعد ذلك.»

«صحيح؟ اذاً ارى من الأفضل ان آخذ شارلي لتناول معاً طعام العشاء في أي مطعم.»
«لا!»

توردت وجهتها من الغضب، وقد ادركت بأن رفضها جاء سريعاً وباندفاع شديد.

وتابعت تقول وباندفاع اكثر: «لا. ليس من الضروري ذلك.»

كان جايمس اثناء ذلك، ينظر اليها مباشرة، ولكن كبرياتها وعزّة نفسها منعتها من ان تشيح بنظرها عنه. ولاحظت نظراته الباردة، فادركت بغريرة المرأة انه يريد ان يحرجها ويضعفها ليوقعها في فخ مصيّدته آملاً ان تستسلم له صاغرة.

بادلته النظارات بحذر شديد، فشعرت بكره ونفور. لقد نال منها بالرغم من كل سلاح تملكه لتوجهه ضده.

قالت في نفسها عندما توجهت إلى المطبخ، لقد تمكّن من مفاجأتها وذلك بفضل شارلي، ولكن الحرب لم تنته بينهما بعد، وستدعه يعلم قريباً، بأنه ولا بطريقة من الطرق يمكنه ان يأخذ شارلي منها.

لكن هل اذا جردها من محبة شارلي ستتمكن من ايقافه؟ اخذت يدها ترتجف بينما كانت تحاول ان تفتح الثلاجة والدموع تررقق في عينيها، ولكنها منعتها من التساقط على خديها، وحاولت ان تسيطر على عواطفها كي لا تنهر فجأة. انها لم تذرف الدموع منذ اليوم الذي سقط فيه شارلي عن دراجته. كان وقتها في الخامسة من عمره وقد سببت لها هذه الحادثة صدمة قاسية.

شعرت وقتها بالوحدة الأليمة والخوف الشديد. فقد كان والداها في ادنبرغ التي كانت قد ترعرعت فيها، وقد قررا الاستقرار هناك نهائياً مع الجدة واشقاءها كانوا يعيشون مع عائلاتهم في مختلف بلدان العالم. كما ان هيزر وعائلتها، كانت بعيدة في اجازة، لذا لم يكن من احد إلى جانبها يأخذ عنها جزءاً من خوفها وقلقها على شارلي. تماثل شارلي إلى الشفاء بعد ذلك وخفت وطأة الصدمة

عليها، خاصة وانه كان قد كسر ذراعه واصيب بجروح مختلفة في جسده. وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي تستسلم فيها لل Yas والخوف من وحدتها. وقررت ألا تتكل على الآخرين ولا ان تلجأ اليهم، أو تحملهم اعباءها، ومخاوفها من المشاكل التي قد تواجهها. ولقد علمتها الأيام والتجارب بعد ذلك، انه اذا لم تجد احداً يحبها ويرعاها، يعني هذا أيضاً انها لن تجد احداً يؤذيها. لقد اذاحتا James في الصميم، فكانت في احل لحظاتها تتساءل فيما لو شفيت تماماً من صدمة عدم حبه لها او لا. هناك العديد من النساء يتصرفن على هذا النحو، فينجذبن نحو الرجل غير المناسب، ويغرقن في حبه ولا يتخلن من ذلك سوى الألم الدموي الغزير. وللهذا السبب تأخذ الحذر الان في التورط مع Tom... أو لنقل هذا هو احد الأسباب لمخاوفها وحذرها.

والسبب الآخر، التناحر والعداء بين Tom وشارلي. وعادت تترجف يدها اكثر وهي تمسك بباب الثلاجة.

«هل يمكنني ان اساعدك بشيء؟» هذا السؤال اللطيف والودود نزل كالصاعقة على رأسها. انها لم تسمع وقع خطوات James بينما كان يدخل إلى المطبخ، وهو يقف الان وراءها تماماً فتسارعت دقات قلبها وجرى الدم ساخناً في عروقها.

«لا. شكرأ. يمكنني تدبر الأمر بنفسي.» كان المطبخ ضيق المساحة، ولم ترد منه ان يكون في داخله معها. فشعرت باختناق في صدرها وابتوات شديد وكأنها اصيبت بالانفلونزا.

سألها James وهو يشير إلى الطاولة التي كانت على وشك ان تضع عليها الصحن والملاعق: «الا يساعدك شارلي عادة في مثل هذه الأمور؟» لم تغب عنها نبرة الاستهجان في صوته، وكأنه يشير اليها بأنها لم تحسن تربية شارلي.

أجابته بغضب: «شارلي حصته الخاصة في الاعمال المنزلية». لكن الذي لم تستطع الاعتراف به امامه انه مؤخراً... ومن بعد استياء وغضب شارلي من علاقتها مع Tom... بدأ شارلي يخفف من مساعدته لها في اعداد وجبات الطعام والتي كان يقوم بها سابقاً، حتى اصبح وبشكل ملحوظ عديم الترتيب والنظافة. وتذكرت الشجار الذي دار بينهما في الأسبوع الماضي عندما رفض ان يرتب سريره. نادى شارلي باعلى صوته من غرفة الجلوس، مما جعلها ذلك تشعر بارتياح كبير.

«ابي... ابي. تعال وانظر إلى هذا.»

فتتساءلت لماذا James مايزال واقفاً وراءها لا يتزحزح من مكانه بالرغم من نداء شارلي له؟ لماذا هو في هذه الحالة من التردد؟ليس هذا سبب وجوده هنا؟ ليستميل قلب شارلي إليه وليقصيه بعيداً عن حياتها؟

اسرعت تقول له: «شارلي يريديك.»

وافقها على الفور: «نعم. انه كذلك.»

لكنها ندمت على الملاحظة السخيفة التي قامت بها، لما سمعت نبرة الانتصار والسخرية في صوته. وكان من الافضل ألا تشعر بأنها تحتاج إلى شيء تظهره وتبثته له. عدا انه عليها في ان تثبت له بأن مكان شارلي هو هنا.

وبالرغم من افكارها المتضاربة والمولمة، اخذت تحضر وجبة الطعام بخفة، على العكس تماماً من بداية حياتها الزوجية مع جايمس، حيث كانت حتى لا تعرف كيف تسلق البيض أو تكوي القمح. كانت تعد الدجاج بصلصة الطماطم الذي كان يحبه شارلي كثيراً، مع سلطة الخضار الطازجة فاظهرت خبرة في نظام التغذية العام. ووضعت خبز القمح الصافي في السلة، والذي اعتادت أن تأكله مع شارلي دون أن تمسح عليه الزبدة أو المربي. وسكتت كوبا من الحليب القليل الدسم لنفسها، وأخر غنياً بالدهن شارلي، لطمئن بأنه يأخذ حصته اللازمة من التغذية. وكانت محظوظة لأن شارلي لم يكن شرعاً ونهماً يرمي نفسه على الطعام.

اعدت المثلجات للتحلية وبطعم الفريز المفضلة لدى شارلي، وكانت قد حضرتها بنفسها. نادت بينما كانت تضعها في الثلاجة وبأعلى صوتها: «العشاء جاهز يا شارلي. هيا اصعد إلى الطابق الأعلى واغسل يديك». لكنها فوجئت بهدوء تام.

أغلقت باب الثلاجة وتوجهت إلى غرفة الجلوس لتجد شارلي ممددًا على الأرض كما يفضل دائمًا عندما يشاهد برامج التلفاز.

«شارلي. قلت ان العشاء قد أصبح جاهزاً.»
اجابها شارلي: «اريد ان اشاهد هذا.»

حولت وين نظرها إلى الشاشة، وهي متأكدة بأن البرنامج الذي يراه ليس على هذا القدر من الأهمية، ولكنه يريد ان يخالف اوامرها ويكون صعب المراس معها، ومن الطبيعي

أنه يمكنها وببساطة ان تطفئ جهاز التلفاز وتقول له بحزم انه لم يعلمهها مسبقاً ان هناك برنامجاً يود مشاهدته، وبما انه هو الذي قال بأنه جائع، عليه ان يؤجل مشاهدة بقية البرنامج، ولكنها ترددت في القيام بأي شيء امام جايمس. شعرت وب MAVIS، أنها ستواجه المزيد من المشاكل والتي سيصعب عليها حلها خاصة في وجود جايمس بينهما.
اما الشيء الأهم والرئيسي الذي كان يشغل بها، هو كيف بإمكانها كامرأة ان تعيش مع زوجها السابق وتحت سقف واحد دون ان يرتعش فؤادها وتختلج احساسها وهي التي احبته وكان الرجل الأول في حياتها. وأخذت تغالط نفسها وتحاول أن تبعد عن ذهنها هذه الأفكار، وكأنما تؤنبها بأنه آخر ما يجب ان يقلقها هو وجود جايمس قريباً منها.

وقفت عند باب غرفة الجلوس متربدة وهي تشعر بغضب من شارلي اكثر من ابيه الذي دخل على حياتهما يريد التسلط عليها. رأت جايمس يقف ويتوجه بهدوء إلى جهاز التلفاز ويطفئه.

ثم أمر ابنته بهدوء: «افعل ما تطلبه منك والدتك يا شارلي.»

فوجئت وين من تصرف جايمس الذي لم تتوقعه منه كما فوجيء شارلي.

ورأت شارلي يتحرك ببطء ويقف على قدميه وهو ينظر إلى جايمس، ثم اسرع يصعد إلى الطابق الأعلى، فقالت وين: «شكراً يا جايمس. ولكن لي القدرة في التداول مع شارلي دون اي تدخل منك..»

«أنا أكيد من ذلك.» وافقها على الفور وبلطف شديد، ولكنه تابع يقول وقد أخذ بالابتعاد عنها: «لكن ومع ذلك، يبدو أن شارلي يحتاج إلى بعض التوجيهات ليدرك أهمية الطاعة. أليس كذلك؟»

سألته بتحمّل وهو يبتعد عنها: «إلى أين أنت ذاهب؟» توقف ونظر إليها نظرة باردة بعكس نظراتها الحاقدة والغاضبة.

أجابها بسخرية: «إلى الطابق الأعلى. أليس هذا ما يجب أن يفعله الأهل الصالحون. ليس علينا ان نأمر الولد وننتظر منه الطاعة العميماء، بل ان نكون له امثاله في ذلك.» وعندما عادت إلى المطبخ، ادركت انه انتصر عليها وللمرة الثانية.

تساءلت إلى متى ستبقى على هذه الحالة من الضغط النفسي والانفعال؟ خاصة أنها بدأت تشعر بالتخاذل والاحباط اللذين قد يعيidan إليها مخاوفها وهواجسها السابقة.

«أمي، الدجاج لذيد.»

لم تدق وين شيئاً من الطعام الذي امامها ورفعت نظرها عندما سمعت شارلي يبدي رأيه بالطعام الذي أعدته.

«هذه طريقة أمي الخاصة.» تابع شارلي يقول.

تساءلت وين عندما لاحظت الدهشة على وجه جايمس، أتراه تذكر الوجبات الغريبة التي كانت تحضرها له في السابق؟ وشعرت ولأول مرة منذ وصوله، بنوع من السعادة والانتصار عليه. لقد استطاعت ان تدهشه بما اعدته من الطعام البسيط، اذا، قد يكون هناك بعض الأمل في أن تخدعه

في اشياء اخرى. على اية حال، لا يسعها الان سوى الانتظار، وعاجلاً ام آجلاً سيخطيء وتظهر حقيقته امام شارلي. وهل نسي انه هو الذي أبدى غضبه عندما علم بحملها ورفضه رفضاً قاطعاً؟ وهل نسي ساعة ولادة شارلي عندما كان منهمكاً في شؤونه الخاصة؟ وانه وبعد ذلك اخذ يتذمر من بكائه ورفض ان يدعه ينام معهما في نفس الغرفة واصفاً وجوده مسبباً للفوضى وعدم النظام؟ اجابت بعد ذلك بشيء من السخرية: «نعم، يسعدنا، أنا وشارلي، ان نجرب الوصفات الجديدة، أليس كذلك يا شارلي؟» لكنها تابعت دون ان تنتظر جواباً على سؤالها: «هل مازلت تعتقد بأنني مازلت لا اعرف كيف يسلق البيض؟»

«في الحقيقة، لم اعط لهذا الأمر اية اهمية.» اجابها جايمس دون اكتراث، وكأنما يريد ان يقلل من اهميتها ومن اهمية كل الذي حققه في تلك السنواتمنذ طلاقهما. وسمعته يضيف وما زالت كلماته الأخيرة تطن في اذنيها: «انما الذي لم يخطر ببالـي، كونك تعملين، ان تملكي الوقت الكافي لاعداد الطعام... الاحظ انك تملكتين فرنا كهربائياً.»

شعرت وين بالغريب الشديد يلهب انفاسها، ولكنها تمكنت من ان تتمالك نفسها، وتكتبت رغبتها في ان تخرج من هذا المكان.

عادت من جديد تقاوم الخوف والذعر مما قد يصدر عن جايمس من تصرف او قول، واجبرت نفسها على تجاهل ما علق به. فالتفتت إلى شارلي تسأله فيما لو كان ما يزال

يرغب بمشاهدة أحد الأفلام على الفيديو كما طلب منها سابقاً.

كيف تمكن جايمس من التلاعيب بمشاعرها وعواطفها إلى هذه الدرجة؟ ولكنها لحسن الحظ ليست من الأشخاص الذين يفقدون اعصابهم واتزانهم بهذه السهولة. ومع ذلك وخلال بعض ساعات تمكن من اصابتها بسهم تلو السهم من تعليقاته السخيفة كانوا ي يريد جرها إلى الشجار والجدل. عليها لا تسمح له بالوصول إلى هدفه. عليها ان تستغل ذكاءها وسرعة بديهتها وتبعد نفسها عن هدفه.

لم تستطع تناول المثلجات، بل اخذت تقذفه من جنب إلى جنب بالملعقة في الطبق، إلى ان ابعدته عنها كلية.

وسمعت جايمس يقول لشارلي: «تعال يا بني نغسل كل هذه الأطباق، كي تعطي الفرصة لوالدتك لكي تستعد لسهرتها هذه الليلة.»

تعالى في تلك الالثناء رنين الهاتف فجأة، ونظرت وين إليه لحظة قبل ان تقرر التوجه إليه.

كان المتصل توم يريد ان يؤكّد موعدهما لهذه الليلة. شعرت بجفاف في حلقها ويتصلب شديد في اعضائها من هدوء شارلي وجايمس اللذين ما يزالان يجلسان إلى مائدة الطعام وكأنهما ينصنمان إلى كلامها، ولكنها اجابت توم مؤكدة: «لا. لم انس. حسناً، سأكون جاهزة الساعة الثامنة.»

وعندما اعادت سماعة الهاتف إلى مكانها، التفت لترى وجه شارلي العابس في وجهها، فاضطررت أشد الاضطراب من ذلك.

لكنها قالت أخيراً: «لقد كان هذا توم... وسنخرج سوياً هذه الليلة.»

تذكرت بعد ان انهت كلامها، انه عليها ان تتصل بهيزر لتلقي الموعد المقرر بينهما، اذ كانوا قد اتفقا على ان ينام شارلي عندها هذه الليلة. وكيف لشارلي ان ينام خارج البيت هذه الليلة ووالده الحبيب والغالى معه.

شعرت بانهيار اكبر ويأس اشد من تلك السنوات بعد طلاقها. وتوجهت نحو الباب فهي مدركة كل الادراك باستثناء وانزعاج شارلي من ناحية وبنظرات جايمس لها الباردة المتفحصة.

الفصل الرابع

همت وين بصعود السلالم إلى الطابق الأعلى للمنزل، عندما لمحت جايمس يتمشى في الردهة بعد أن أقفل باب غرفة الجلوس، وأخذ يحدق بها بقسوة ولوم.

ثم سألها بعنف: «أخبريني شيئاً يا وين، هل أنت معتادة في أن تتركي شارلي وحيداً للتلاقي صديقك؟»

الهجوم الذي بادرها به، كان غير متوقع، وغير عادل، حتى أنها لم تتمكن لفترة أن تجيبه بكلمة واحدة. فاحتقن وجهها من الغضب وقد تسارعت دقات قلبها بشدة وكأنما يؤنبه على اتهامه لها. شعرت بألم في رأسها، ولما وضعت يدها على صدغها تتحسسها، وجدت يدها ترتجف ارتجافاً شديداً وكأنها أصبحت ببرد لاذع.

أجابته أخيراً بصوت أحش ومتوتر: «أنا لا أترك شارلي بمفرده أبداً.»

قال جايمس ملماً: «لقد فعلت ذلك بعد ظهر هذا اليوم.» أخذ رأسها يلف ويدور دوراناً متواصلاً وأفكارها وأحساسها في حالة اضطراب.

«كان من المفترض أن يكون في منزل صديقه.» ثم استدركت مؤنثة نفسها على ما فعلت، فقد سمحت لجايمس أن يجبرها على الوقوف موقف الدفاع عن نفسها. لماذا لا تقول له بكل بساطة، أنه لو لم يعلم شارلي على الخداع والمراؤغة، لما كان وجده بمفرده.

«كنت قد تدبرت الأمر لأن يقضي هذا الليل في منزل صديق له.» وأضافت، وكانت تعلم جيداً أنه فات الأوان في التراجع عما استهلت به كلامها.

رفع حاجبيه متأنلاً ثم قال: «يقضي الليل خارجاً؟ يا لها من فكرة رائعة وملائمة - خاصة أن الفندق يمتلىء بالغرف لأغراضك ومصالحتك مع صديقك. أفهم بأنكما لا يمكنكم انتظار شارلي لكي يبلغ سن الرشد ويبعد عنكم.»

نظرت وين إليه ملياً وهي لا تصدق ما تسمعه اذناها، انه يشن عليها حرباً لم تتوقع ابداً أن يبدأ هو بالذات بها. أخذت تلهث بحنق وقالت: «من أين لك الحق في أن تتكلممعي بهذه الطريقة؟ هذا بالإضافة...»
«بالإضافة إلى ماذا؟»

اجابت بحدة وبحالة اقرب الى ذرف الدموع من الحالة التي وصلت اليها، ومن جرأته الواقحة في طرح هذا الموضوع الشخصي امامها، قائلة: «لا دخل لك في حياتي الخاصة ولا بشكل من الاشكال.»

فقال لها: «معك حق، لا دخل لي في حياتك الخاصة. انما لشارلي حق عليك، أو ربما لا يهمك لأنه لا يتودد لصديقك ولا يريده، وأنه يرفض رفضاً قاطعاً في أن يكون والده التالي.»

تألمت أشد الألم لمعرفتها بأن شارلي قد تناقش مع والده حول العلاقة التي تربطها بتوأم، ولكنها لم يكن بوسعها أن تقول أي شيء في هذا الخصوص، انما اجابت على سؤاله وقالت: «طبعاً يهمني. فشارلي هو ابني، كما أنه أهم شيء في حياتي.»

عاد يرفع حاجبيه وقال: «هل هو فعلاً كذلك؟ وهل يعلم صديقك بذلك؟»

لم تجب وين، بل أدارت ظهرها وتابعت صعودها إلى الطابق الأعلى. على أية حال، بماذا يمكنها أن تجيب؟ اتصلت بصديقتها هيزر من غرفة النوم، التي ادركت من نبرة صوتها بأنه قد حصل شيء ما مع وين، وكل ما استطاعت ان تقوله لها كان: «هيزر، لا يمكنني أن أخبرك بالأمر الآن، ربما غداً». وأعادت سماعة الهاتف إلى مكانها، والقت بنفسها مت塌قة على الفراش منكمشة على نفسها تتألم وتحاول أن تجد مخرجاً لمعاناتها.

لكنها لن تسمح لنفسها بالاستسلام أبداً، ولن تسمح كذلك لعواطفها بالتلاعيب بها. ان توم سيمر عليها الساعة الثامنة،وها قد تجاوزت السابعة الآن، فعليها ان تستحم وتنافق، وتسرح شعرها وتضع المساحيق المناسبة، وان تتحلى بالهدوء والسيطرة التامة على اعصابها عند نزولها إلى الطابق الأرضي لتتمنى لشارلي ليلة هائمة.

هل لأنها لا ترید لشارلي أن يلاحظها تشعر به من انزماج وتتوتر، أم لأنها ترید أن تخفي مشاعرها أمام والده؟

لكنها لم تخرج من غرفتها في النهاية الا بعد ان رأت من نافذة غرفتها سيارة توم مقبلة. وحنقت على نفسها لقلة شجاعتها وتركت جايمس يشعرها بأنها تقوم بعمل خاطئ لا تسامح عليه بلقائهما بتوم. توجهت الى غرفة الجلوس حيث كان شارلي يثرثر بسعادة مع أبيه، وعندما حاولت أن تضمه إلى صدرها نظر إليها بحق وابعدها عنه.

قالت له متمالكة اعصابها وبصوت حاولت جهدها كي

يبدو هادئاً في معاملته ورفضه لها: «لا تنسي موعد النوم في الساعة العاشرة.»

تركتهما أمام التلفاز وقد شعرت بالضيق في نفسها لأنها تتصرف كالمنبوبة، ثم توجهت رأساً إلى الباب، ولما حاولت فتحه، سمعت صوت جايمس يناديها.

استدارت لا شعورياً نحو مصدر الصوت وعيناها تحقنان من الغضب في انتظار الهجوم التالي منه، وشعرت بالأرض تميد تحت قدميها بينما كان يقول لها بهدوء: «اعرف أن الأمر صعب يا وين، ولكن حاولي أن تتفهميه أكثر. فالبنسبة لشارلي، أنت ترفضينه اكراماً للرجل آخر. انه يغار عليك، وهذا يؤلم... آه كم يؤلم هذا.»

نطق بكلماته الأخيرة بحرقة وغصة فشعرت بانقباض في صدرها، بينما تساءلت عن المرأة التي سببت له هذا الألم الشديد. وكادت عواطفها تخونها، ولكنها سرعان ما تذكرت ما يحاول أن يقوم به معها، لذا قالت بصوت مرتجف: «شكراً لك. لا داعي لأن تشرح لي مشاعر ابني.»

أجابها بلطف: «أنه ابننا. ابننا يا وين، وليس ابنك فقط.» أخذ قلب وين يدق بشدة فأسرعت بالخروج من المنزل. كان توم قد خرج من سيارته ليتوجه إلى منزلها عندما رأها خارجة منه، فسألها بقلق: «ماذا هناك؟»

أجابت باختصار: «ليس الآن.» فهي غير مهيبة نفسياً بعد للتحدث مع توم في المستجدات الحاصلة. أنها خائفة ومتربدة مما ستخبره به.

اختار توم أن يتناول طعام العشاء في مطعم جديد، عليه يضيف إلى مطعم فندقه بعض المأكولات الجديدة.

كانت وين تعرف أن فاتورة طعام هذه الليلة ستقارن بفاتورة مطعم فندقه، فقد كان توم من هذا النوع. لن يفهم فيما لو قالت له بأنها تفضل تناول العشاء في مكان أقل كلفة وبأنقصد من تناولهما الطعام معاً، له طابع شخصي يخصهما هما الاثنان وليس عملي.

كان مقر سكن توم الدائم في الفندق، ومكتبه الدائم فيه، كان السبب الرئيسي لنجاحه وشهرته. لكن وبالرغم من أنها كانت معجبة بطريقة عمله وطريقة قيادته لسيارته، كانت أيضاً تمنى لو كان أقل طموحاً وهجومية.

ان يتمنى المرء النجاح الدائم، شيء عظيم جداً، ولكن هناك أمور أخرى في هذه الحياة، مثل ان ينشيء عائلة، هذا ما كانت تفكري وين به مقطبة عندما جلست في سيارته تنتظره ليدير المحرك. وتساءلت لو أنها تزوجت من توم وأسست عائلة معه، كيف سيؤثر ذلك على شارلي.

قطع توم الصمت ليقول: «انها سيارة جميلة». وقد أشار إلى سيارة جايمس الفخمة، وتتابع يقول: «فخمة لدرجة تبدو أنها في غير مكانها المناسب في هذه البلدة». أثار كلامه الغضب في داخلها وكأنه يلمح أن منزلها وضعيف جداً لتفق سيارة بهذه الفخامة أمامه، وتتابع يقول: «اعرفين من يملكها؟»

اجابت بهدوء: «انها تخص والد شارلي». هذا الكلام لفت انتباذه، فأدار رأسه نحوها بوجه عابس وبنظرات حادة.

«اعتقدت انه من المفترض ان يكون في استراليا». وتساءلت، هل ما تسمعه من نبرة صوته اتهام صريح لها، بأنها كانت تكذب عليه طوال الوقت.

أبعدت بسرعة من رأسها هذه الهواجس، فالصدمة في مجيء جايمس وفي اكتشافها كيف كذب عليها شارلي جعلاها حساسة للغاية وقابلة للانفعال.

فأجابته: «كان فعلاً في استراليا، ولكن مع ذلك، يبدو أنه قد قرر العودة إلى هنا، راغباً في أن يكون قرب شارلي..» كانت تتكلم بعينين مغمضتين، تحاول أن تمنع تساقط دموعها، لكنها لم تستطع إخفاء يأسها من طريقة كلامها. أنها على خطأ واضح فيما لو كانت تعتقد بأن توم يشعر ويقدر مواقفها. فبدلاً من أن يخفف عنها قلقها وهواجسها، قال لها: «ماذا تعنين بالضبط يا وين؟ ما معنى أنه قرر العودة إلى هنا؟ هل يعني هذا انه عاد بصورة نهائية؟» هزت وين رأسها بالإيجاب دون أن تتمكن من النطق بكلمة واحدة وكأنما الكارثة التي حلت عليها عقدت لسانها. والآن، وبما أنها بعيدة عن المنزل وعن جايمس الذي كانت تحاول ان تظاهرة أمامه بأنها ليست ضعيفة ولا مضطربة لحضوره، أدركت فجأة هول الصدمة التي كانت تتخطى فيها.

حتى أنها تذكرت الألم الرهيب والموجع لحظة اكتشافها وجوده في المنزل، وكيف ان الخيبة أخذت تكبر تدريجياً في داخلها إلى أن وصلت إلى حالة مدمرة لا تحسد عليها. كيف لا، وقد عاد جايمس إلى المنزل وبناء على دعوة من شارلي نفسه، ومن معرفتها بأن جايمس وبطريقة أو بأخرى قد عزم على نزع شارلي من احضانها.

بقيت الدموع تترقرق في عينيها، وشعرت بالغثيان وبالبرودة الشديدة، وبتتشوش في أفكارها وبأنها ما عادت تستطيع السيطرة على مشاعرها وعواطفها.

وقالت بحرقة بالغة وبالم وخوف: «انه يريد شارلي يا توم، أعرف ذلك، ويحاول أن يفرق ما بيني وبينه. والآن وبوجوده بيننا...»

أوقف توم سيارته فجأة ليحول نظراته إليها قائلاً بحدة: «يعيش بينكم؟ مازا تعنين؟»

نظرت وين إليه وقالت: « تماماً كما قلت لك. فعندما عدت من عملني بعد ظهر هذا اليوم، وجدت أن شارلي قد دعاه إلى الانتقال إلى بيتنا والعيش بيننا.»

لم تعجبها الطريقة التي كان توم ينظر بها إليها.

علق توم على قولها قائلاً: «وتركته يفعل ذلك؟ أوه يا وين. لقد حاولت مراراً أن أحذرك من المشاكل التي تنتظرك من جعلك لذاك الطفل أن يتحكم بحياتك. «شارلي ليس طفلاً.»

حملق توم في وجهها ثم قال: «ليس في عينيك طبعاً، لكن لا تقولي لي بأنك وببساطة ستسمحين لهذا الرجل بالبقاء؟ ما هذا يا وين، ما الذي سيقوله الناس عندما يعرفون بأنك سمحت لزوجك السابق في الانتقال إلى المنزل وكأنكم عدتم عائلة واحدة من جديد، خاصة أن هؤلاء الناس يعرفون بأننا، أنت وأنا...؟»

اعترضت وين بعنف: «الأمر ليس كما تعتقد. «اطلبني منه الرحيل اذا.»

اعترفت ببيأس: «لا يمكنني ذلك لسبب وجيه، إنه ما زال يملك نصف المنزل، هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى...» وحولت نظرها إلى النافذة تحاول ان تسيطر على دموعها المتعرقة في عينيها من الانهيار، وتتابعت تقول: «توم،

أخشى أنني لو طرده، إن يأخذ شارلي معه. شرعاً أملك الحق في حضانته، لكن لنفترض أن شارلي اختار أن يعيش مع والده...»

ثم سمعت توم يلعن بصوت خافت وهو يدير محرك السيارة من جديد.

قال بتساؤل: «اتعلمين مازا أعتقد؟ أعتقد أن أفضل شيء قد يحدث بالنسبة لنا، أن يلتحق الولد بأبيه. هل نسيت يا وين، بأننا لا نتفق مع بعضنا البعض؟ وآخر ما أتمناه واريده متى تزوجنا، العند والغيرة من فتى مراهق يعيش بيننا. سننجب أو لادنا في يوم من الأيام، ولا أعتقد أنني سأجاذب وأتركه بمفرده معهم.»

قالت وين يخوف من تعليقه على الأمر وقد شحب لون وجهها: «توم. ليس عدلاً ما تقوله ولا العقل يتقبله.»

فأجابها دون مبالاة بأمورتها: «آسف. ولكنها وجهة نظرى. وفي الواقع، أرى أن الولد متعلق بك جداً يا وين.» اعترضت قائلة: «هذا غير صحيح.»

لم تكن هذه السهرة بالسهرة الممتعة والمشوقة. فقد كان توم غير لبق وفظاً مع موظفي المطعم، مما جعل وين تشعر بالانزعاج والتوتر، فقد كانت كلماته بخصوص شارلي ما زالت تطن في أذنيها، وأدركت بعد مغادرتها المطعم، كم أنه غير متفهم ومقدّر لمدى تعاستها وقلقها على مصير ابنها.

وصدر صوت من داخلها يسألها بحدة، إن كان هذا فعله هو الرجل الذي تمنى الزواج منه، والذي لا يأبه بما تعانيه وتحسه، بل يرفضها رفضاً قاطعاً. وبالنسبة لما انتقده

بخصوص شارلي... اغمضت عينيها ورأت بعين الخيال الحياة المقبلة التي ستحياها في أرضاء وملاطفة كلا من توم وشارلي.

شعرت ومع نهاية السهرة بالاعياء والتعب الشديدين، لكن ومع ذلك لم تصل بها إلى الثورة والغضب من كلام توم المتذمر وبوجهه العابس المتذمر.

أسرعت تمسك بمسكة باب السيارة تريد أن تفتحه، في اللحظة التي توقف فيها توم أمام منزلها. فاتهمها توم بلوم قائلاً: «أرى إنك لا تقوين على الانتظار لرؤيتها من جديد؟»

«آسفة لأنني أفسدت عليك سهرتك يا توم.» قالت وين باعياء، وقد انهكتها بضغوطاته الشديدة، مما سبب لها ثورة في داخلها لا يمكنها اخراجها. وتساءلت، هل كان من الضرورة على توم أن يتصرف بهذا الطيش الصبياني؟ وهل كل الرجال على منواله لا يفكرون إلا بأنفسهم دون أي مراعاة لشعور الجنس الآخر؟ وإذا كان هذا صحيحاً، فلماذا؟ هل أنها ميزة طبيعية بهم، أو أن ذلك نشأ فيهم منذ نعومة أظافرهم، ومن أمهاتهم اللواتي أحطنهن بالمحبة والحنان؟

فقال توم: «حسناً، اعتذر أن الذنب ليس ذنبك.» وعندما اقترب يريد مصافحتها، شعرت بانزعاج وخوف منه.

حاولت أن تقنع نفسها بأنها سعيدة لذلك، بينما في الحقيقة كانت تخدع نفسها، لأنها كانت تقارن لمسة يده، بلمسة يد جايمس الذي كان يثير في نفسها أحاسيس ومشاعر لا ولن تشعر بها مع أي رجل آخر.

ولدهشتها، وجدته غافلاً لعدم تجاوبها معه، ويبتسم لها برضى تام وقد سحب يده من يدها.

هتف بعد ذلك قائلاً: «حسناً، قد يكون زوجك السابق قد شاهد ذلك وأدرك كيف هو الحال بيننا.»

ارتعش قلب وين بخوف شديد متسائلة عمّا يعنيه بكلامه هذا، فحولت نظرها إلى المنزل، ولكنها سرعان ما شعرت بالارتياح عندما وجدت ستائر غرفة الجلوس مسدلة.

سألتها توم: «لقد أخبرته بشأننا، اليأس كذلك؟»

أجبته وهي تفتح باب السيارة: «لقد أخبره شارلي..» و خامرها شعور مفاجئ عند ذلك وفكرت لو أنها حقيقة تحب توم كفاية لتتزوج منه، فقد باتت غير متأكدة فيما لو أنها ما تزال معجبة به أو لا.

خرجت باعياء من السيارة، ولاحظت كيف انطلق بسيارته دون أن يرافقها إلى باب المنزل أو حتى أن يطمئن أنها دخلت إليه بسلام. على أية حال، هذا هو توم الذي لا يضيع وقته عادة على أشياء يراها غير ضرورية.

دخلت منزلها الذي كان ينعم بالهدوء والسكينة، فنظرت إلى ساعة يدها لترى أنها لم تتأخر كثيراً فقد كانت الساعة قد قاربت الثانية عشرة.

فتحت باب غرفة الجلوس لتجد التلفاز مازال يعمل لكن بصوت منخفض، وأخذ قلبها يخفق بشدة عندما استدارت لترى جايمس مستلقياً نائماً على الكتبة الصغيرة وتوقعت أن يشعر بتشنج في عنقه بعد أن يستيقظ.

بدا في نومه هذا، أقل قساوة وأقرب كثيراً إلى الرجل الذي أحبته ذات يوم. وكانت خصلات من شعره، قد تساقطت

فوق جبينه، تماماً مثل شارلي، فأخذت تكابد وتبعد الرغبة في أن تبعد خصلاته تلك عن جبينه بحنان، كما تفعل عادة مع شارلي.

لقد كانت قريبة جداً منه. كيف تمكنت أن تقترب منه كل هذا الاقتراب؟ وتساءلت عن السبب الذي قادتها فيه قدماها لا شعوريأً إليه.

كادت يدها أن تلمسه عندما أدركت ما تقرفه هذه اليد، فانقبض صدرها وحولت نظرها إلى وجهه وقد خشيت أن يكون صاحياً ويراقب حركاتها، ولكنها شعرت بالسكينة عندما وجدته ما زال يغط في نوم عميق.

وساءلت نفسها وقد تراجعت خطوة إلى الوراء، ما الذي كانت على وشك أن تقوم به؟

هل أنها حقيقة أرادت أن تلمسه؟ أخذت ترتجف بشدة وهي تخطو خطوة أخرى إلى الوراء، ثم صرخت بحدة وهلع عندما تعثرت قدماها بحذاء شارلي، وأسرعت تمسك بطرف الكرسي كي لا تهوى على الأرض.

استيقظ جايمس حالاً على صراخها، واستوى جالساً على الكنبة التي كان يستلقى عليها وهو عابس الوجه، ثم نهض على قدميه وأمسك بها بسرعة بحركة هادئة ولطيفة حركت مشاعرها.

وعادت بها الذكريات تعصف بها وقد تذكرت كم أحبته وكم ضحت بالكثير من أجله، وكم كانت تشعر كلما أمسك بها بأنها تملك الدنيا وما فيها. كم أنه مؤلم في أن كل شيء أضحي ذكريات ولا شيء سوى الذكريات.

سألها بخشونة وبقلق في آن معاً: «هل أنت بخير؟» سؤاله

هذا أعادها إلى الواقع، فأفلتت منه وكأنها ترفض ما قد شعرت به.

وقالت بغضب: «يعرف شارلي تماماً بأنه يجب عليه ألا يترك حذاءه في أي مكان.»

اعتذر جايمس قائلاً: «آسف. انه ليس حذاء شارلي، بل حذائي أنا. أردت الاسترخاء لبعض دقائق...» توقف قليلاً ليتابع بعد أن شعر بجزعها: «ماذا هناك؟ هل تشعرين بخيالية الأمل لأنك لم تتمكنين من تمضية بقية السهرة معه؟»

أسرعت متوجهة إلى الباب والغضب يعصف بها. وصعدت إلى الطابق الأعلى إلى غرفة شارلي أولاً كي تطمئن عليه قبل أن تدخل غرفتها.

وجدته ينام ناماً عميقاً، فابتسمت له بعطف وقبلته. إنها تحبه كثيراً، تحبه أكثر مما يتصوره العقل البشري، لكن هذا أمر لا بد منه وواقعي.

ثم توجهت إلى غرفتها متعبة.

شعرت وبعد مرور ثلاثة ساعات، بأنها منهوبة القوى، لكن عقلها متيقظ لدرجة يستحيل عليها النوم، وكل ما فيها يتوجع ويتألم من الحوادث المتلاحقة عليها.

تساءلت عن السبب الذي دعاها إلى مقارنة توم بجايمس؟ أنها لم تقارنه ولا مرة به، فلماذا فعلت ذلك هذه الليلة؟ كيف ذكرتها المسة توم ليدها بلمسة جايمس لها بعد مضي تلك السنوات الطويلة لطلاقهما؟

كان يجب عند رؤيتها له مجدداً أن تعزز وتنوي الأسباب التي دعت إلى زواجهما بالتدبر والأفول، لا أن تجعلها تذكر الماضي بألم وحنين.

الفصل الخامس

فتح باب غرفة وين، وعلى صوته استيقظت من نومها العميق الذي استرسلت فيه عند الفجر. كان رأسها يؤلمها وعيناها مثقلتان لكثره ما ذرفت من دموع الحرقة والعذاب في ليتها المضنية الملائمة بالهواجس والظنون.

وبالرغم من أنها كانت تعمل في فندق، فقد اتفقت مع توم ان لا تعمل في العطلة الأسبوعية لكي تكون إلى جانب شارلي، الذي كان من عادته ان يذهب صباح الاحد يركب دراجته إلى البلدة ليأتيها بالجريدة، فتحضر لهما، هي وابنها، افطار الاحد الخاص تضيف إليه طبق البيض المقلي مع النقانق المفضل عند شارلي.

جلست بإعياء في سريرها، وذهشت عندما رأت كم ان الوقت تأخر، وقد تجاوز الساعة التاسعة.

«صباح الخير يا أمي، لقد قال أبي بأنه سيحضر الطعام بنفسه ليفسح لك المجال في النوم، ولقد احضرت لك فنجان القهوة..»

مشاعر عدة اخذت تنتابها، ولا واحدة منها اسعدت قلبها. وأكثر ما كان يزعجها ويقلقها، عودة جايمس وحشر نفسه في حياة شارلي، وكيف انه وبذكاء بالغ تمكّن ان يبعدها عن مهماتها وان يضعها في المرتبة الثانية. وكيف، والغيرة تنهش قلبها في ذلك، تمكّن من ان يحد من اعمالها الروتينية مع شارلي ويتولى بدوره كافة الأمور.

أثبتت نفسها لأن ما أحسست وشعرت به لم يكن سوى تصرفات مراهقة عابثة ولا شيء عدا ذلك. ولنفترض أنها سعدت معه لبعض الوقت، فهل هذا بمثابة الألم الذي ألم بها بعد ذلك؟

اضافة إلى كل ما يتوجب عليها فعله هو التركيز والتفكير به في الوقت الحاضر، وكيف ستعالج المشاكل المحيطة بها، وتهديدات جايمس بقطع علاقتها مع ابنها شارلي.

هل تملك الارادة والقدرة على تحمل وتمالك الأعصاب في رؤية رد فعل شارلي عندما يرى والده على حقيقته كما تعرفها هي؟ أنها مقتنة كل الاقتناع بأن جايمس سيكشف أوراقه يوماً أمام شارلي تماماً كما فعل معها.

وهمس صوت بداخلها يقول لها، بأنه يمكنها أن تخفف وقع الكارثة على شارلي لو أخبرته بحقيقة والده كاملة، وتفهمه بأن والده لم يكن يريد ولادته منذ البداية. ولكنها عدلت عن هذه الفكرة، فهي لا يمكنها فعل ذلك. وأخر ما تتمناه لابنها أن يتأنى بمشاعره. لكن ومع ذلك، كانت تتوقع بأن ذلك سيحدث في أي وقت.

ملأ انبهار إحدى القهوة الزكية التي كان يحملها شارلي إليها بانتباه وتأن والتي كان قد أعدها جايمس بنفسه. تألفت في قلبها بعمق وهي تتناول الفنجان من يد شارلي، لتجد وكأن جايمس أراد أن يعيد الذكريات الموجعة إليها. فقد أعد القهوة بالطريقة الخاصة التي قدمها لها في أول أيام زواجهما وقد نشر بعضاً من الشوكولاتة عليها.

من كان يعتقد بأن مثل هذه المبادرة الصغيرة والغير هامة، قد تسبب لها آلاماً مبرحة. ومن دون شك، أنها مبادرة تقدم بها جايمس لتترك أثراً في نفس شارلي وليس في نفسها بالطبع.

انزعجت عندما شعرت أنها أصبحت شديدة التأثر بهذه السرعة، وكم أصبحت تشعر بالخوف وعدم الاستقرار.

قال لها شارلي باهتمام: «لقد اشتري أبي مسحوق الشوكولاتة أكراماً لك عندما ذهبت معه لشراء الجريدة، وقال إنك تحبين دائماً القهوة على هذه الطريقة.»

وإذ بها تسمع صوتاً يقول: «آه. إذن كنت مستيقظة. فقد شعرت أن شارلي قد قلق بعض الشيء عليك عندما لم تستيقظي في موعدك الطبيعي، فشرحت له أنه عادة وفي السهرات الطويلة تحدث مثل هذه الأمور.»

اهتزَّ فنجان القهوة في يد وين، فتساقطت بعض قطرات من سائل القهوة عليها، وانتفخت بهلع لرؤيه جايمس يقف عند باب الغرفة.

نظرت إليه بمرارة، تتساءل كيف ستتمكن من التعامل مع كل صدمة تتلقاها تلو الصدمة، وكأنما كل واحدة حبكت لتضعف العلاقة التي كانت تربطها بابنها.

ياله من رجل بارع ذكي، يدرك ويعي نقاط ضعفها. متى ياترى وهو يخطط لهذه الحملة عليها؟ كما ان الظروف ساعده و كانت مؤاتية له، خاصة انه كان غائباً، وعودته جذبت شارلي إليه بقوة وعنف.

انها لم تستطع أن تنام كثيراً في الليلة الماضية، فقد كانت قلقة، تفك في مستقبلها، فادركت ان التعب والاعياء يبدوان جلياً على وجهها، بينما جايمس من ناحيته، يبدو بكامل حيويته ونشاطه. شعره مسرح ومنظم، يرتدي قميصاً طويلاً الكمين.

لم تسأل وين بعد كل تلك السنوات لطلاقهما، كيف كان يمضي حياته في استراليا، وماذا كان يفعل ومع من... على أية حال، لماذا عليها أن تعرف؟ إنه لا يعني لها شيئاً الآن. لقد تطلاقاً منذ سنوات عديدة وانتهى الأمر. لكنها نظرت إليه وكأنها تشكره على القهوة وقد رسمت شبه ابتسامة على وجهها.

«ستبرد قهوتك.»

هذا التعليق الهدىء أعادها إلى واقعها، فتنبهت بأن جايمس في غرفتها بالذات وقد جلس على حافة سريرها، وكان له الحق بهذا النوع من الألفة بينهما.

لكن والأهم من كل شيء، هناك شارلي الذي هو بحاجة للاهتمام والرعاية، خاصة وأنه قد أصبح أكثر مطالبة باستقلاليته، ومن ناحيتها، فهي تحترم حاجته هذه وتنفذها.

وتذكرت سعادتها السابقة مع جايمس وكيف كان يداعب شعرها بلطف كي تستفيق من نومها، لكنها سرعان ما أنبت

نفسها. كيف تسمح لمشاعرها بالعودة إلى مثل هذه الذكريات. الأجرد بها أن تتذكر الطريقة التي رفض فيها جايمس طفلهما شارلي، والطريقة البشعة التي جرح بها أحاسيسها ومشاعرها، وكيف أنه كان غير صادق معها، وكم قاست وتعذبت وبكت بعد طلاقهما كلما استيقظت من النوم مذعورة لعدم وجوده إلى جانبها.

«ألن تشربى قهوتك؟»

حولت وين نظرها إلى فنجان القهوة الذي وضعته جانباً، كأنها لا تثق بنفسها وبأنها لو حملته سترتعش يداها ويسقط منها على الأرض.

«أشرب القهوة سادة هذه الأيام.» أجبته ببرود، وقد كانت صادقة فيما تقول، لكن ذلك لا يعني بأنها لا تدلل نفسها أحياناً وتتناوله بالحليب، إنما ليس بالشوكولاتة، والذي كان من الأشياء التي يخصها بها فيما مضى.

وعندما حولت نظرها إلى شارلي، وجدت الخيبة تظهر في عينيه، فأسرعت تصحح ما قالته وقد تذكرت أنه هو الذي حمل القهوة إليها.

«حسناً. سأغير عادتي هذه المرة.» قالت مبتسمة لشارلي، متجاهلة جايمس كل التجاهل. وتناولت فنجان القهوة، ثم أخذت ترشف منه.

قال جايمس بسخرية: «أمر غريب فعلاً. أذكر مرة انك شربت القهوة بحماس زائد حتى انك لم تتركي شيئاً منها.»

شعرت وين بانقباض في معدتها، ويتشوش في الافكار، لأنها لا تصدق ما يجري ويدور.

قطع شارلي حبل أفكارها وذكرياتها التي لم تنسها أبداً،

قائلاً: «سأخرج مع أبي هذا الصباح.» وأخذت الذكرى تلو الذكرى تتدفق بألم وعذاب في رأسها. وتتابع شارلي يقول:

«سأراقبه لنبحث معاً عن عمل له.»

أخذ جايمس يشرح الأمر بهدوء: «أريد أن أجرب في المنطقة وأدرس المراكز الصناعية، فقد رأيت انه من الأفضل ان آخذ شارلي معي، لنمنحك بعض الراحة والهدوء..»

كادت وين أن تقول أنها لا تريده البقاء بمفردها، فأيام الآحاد مخصصة لها ولشارلي، ولكنها وجدت ابنها يتوجه بحماس نحو باب الغرفة قائلاً: «هيا يا أبي.» وعندما الحق الوالد بابنه، أدركت وين ببيأس شديد ان زوجها السابق وللمرة الثالثة تمكّن من الانتصار عليها.

تناهى إلى سمعها وهي ما زالت في السرير، ثرثرة شارلي مع أبيه بينما كانا يهبطان درجات السلالم، فشعرت بالوحدة والتعاسة تحيطان بقلبها. كان بإمكانها أن تمنع شارلي من الخروج مع أبيه، لكن كيف يمكنها أن تفعل ذلك خاصة بعد ان رأت الحماس والسعادة على وجهه. لذا، كان من الصعب عليها أن تمنعه اعتقداً منها أنه ليس من العدل أن تدع الغيرة التي تنهش قلبها من التصرف في هذا الأمر.

الغيرة. وتململت وين باعياء في السرير، بسبب الرباط الجديد الذي ربط جايمس بشارلي. فهي الآن تغار وتخاف عليه، مع أنها لها الحق الشرعي بحضانته. تخاف لو ان جايمس طلب إعادة النظر فيمن يقول إليه الحق الشرعي بذلك، أو ربما أسوأ من ذلك، لو ان شارلي أعلن بنفسه بأنه يريد العيش مع والده.

أخذت أفكارها وهواجسها تكبر وتزداد في هدوء وسكون المنزل. تتصور حياة جديدة غير هذه الحياة، وقد أسس جايمس شركة جديدة ومنذلاً آخر مما قد يجعل شارلي يرى نفسه غير سعيد لوجوده معها، فيطلب منها أن يمضي العطلات الأسبوعية معه في أول الأمر، إلى أن يأتي يوم يقول لها فيه بأنه لم يعد يرغب بالعيش معها ويريد الانتقال إلى منزل والده.

كيف ستتصرف لو حصل هذا يوماً ما؟ يجب ألا تسمع بذلك. قد يكون جايمس يريده شارلي الآن، كما كان يريدها قبلاً.

ونذكرت نفسها أن محبة الأطفال تختلف عن محبة الكبار. ولكن جايمس لم يكن يريده شارلي بل رفضه ونبذه وهرب منه ومن مسؤولياته تجاهه.

انه لم يرده سابقاً، ولكنه من المؤكد يريده الآن. عندها ارتدت ملابسها وتوجهت إلى المطبخ في الطابق الأرضي، فوجدته نظيفاً ومرتبأ. وبينما كانت تعد لنفسها فنجاناً من القهوة، تعلى رنين جرس الهاتف، فرفعت السماعة وهي ترتجف من عوامل عدة، فجاءها عبر الأسلاك الصوت المألوف لديها، صوت صديقتها هيزر.

أخذت تشرح لصديقتها قدر المستطاع بأخبارها وما استجد معها من أمور، بينما لم تستطع هيزر ان تمنع نفسها من الدهشة والانزعاج لما حصل مع وين.

«هل تقولين حقاً بأنه انتقل للعيش معكما؟ ولكن كيف سمحت له بذلك؟»

اجابتها وين بتعasse: «لا خيار آخر عندي. فشرعاً مازال

يملك نصف هذا المنزل. إنما الأمر ليس هنا يا هيزر، فشارلي شغوف جداً بوالده، وخشى لو انتهى اصررت على خروجه...»

«آه، آسفة جداً للذي جرى لك يا وين.»

«لقد تعاطفت هيزر معها فوراً وقدرت موقفها دون أن تمتنع بمشاعرها أو تزيد من سوء حالتها التي تتخطط فيها، على عكس توم تماماً.»

وعادت هيزر تسألهما بحذر: «كيف تلقى توم هذا الخبر؟» تنهدت وين وأجابت بحرقة وألم: «ليس كما يجب... فقد طلب مني ان اسلم شارلي إلى جايمس وكأنه شيء غير مرغوب عنده. اعرف ان كلاماً من توم وشارلي لا يتفقان، ولكنني لم اتوقع منه ذلك... ولقد كان قاسياً وغير متفهمأ للوضع من جميع نواحيه، لا بل اخذ يتكلم عنا وعن اولادنا في المستقبل. ومما قاله أيضاً، انه لن يسمح بوجود شارلي بين اولادنا. أتعلمين يا هيزر، لم اكن اتصور بأنه بهذه الأط باع.»

قالت لها هيزر بلطف: «ربما من حسن حظك انه بدا على حقيقته قبل ان تورطي نفسك بارتباطك معه.»

بلغت وين بريقيها الجاف وقد ادركت ان صديقتها على حق تام في ما تقوله لها، ووافقتها في الحال: «نعم. لا يمكنني الزواج منه الآن. لقد كنت أمل في ان اجد طريقة من الطرق تقرب ما بين شارلي وتوم، ولكن الان... آه ان شارلي ما يزال فتياً.»

تنهدت بألم للتتابع قائلاً: «اعتقدت ان توم سيتفهم الأمور اكثر، وبأنه سيرضى بشارلي وسيعمل المستحيل ليثبت

لشارلي بأنه مهتم به، ويعده بأننا مع الوقت سنكون عائلة سعيدة. أؤكد لك، لو ان الوضع معاكس وأن توم هو من لديه الولد لكنت...»

تنهدت هيزر وقالت: «ألا تعتقدين ان الرجال ليسوا مثلك؟ ببعضهم لا يقبلون المنافسة والتحدي حتى لو جاءت احياناً من اولادهم انفسهم، ويبدو على توم انه من هذا الصنف. آسفة جداً يا وين. اسمعي، اذا احبيت ساتي لزيارتك.» «لا. لا. انتي بخير.» اجايتها وين بسرعة ثم غيرت دفة الحديث، وسألتها اذا كانت ما تزال عازمة على الذهاب إلى نادي الرياضة مساء كل اثنين.

فاجابتها هيزر: «نعم، انتي بحاجة إلى ذلك.»

تساءلت وين بعد ان اعادت سماعة الهاتف إلى مكانها، فيما لو اتصل بها توم، ولكنها ادركت أن ذلك غير مناسب الآن. على أية حال، انه لم يكن من ذلك النوع الذي قد يتصل بالأخص ليعتذر منها بما قد سببه لها من ازعاج وألم، أو ليؤكد لها انه ما يزال قائم على حبها. ولكن كيف ومع كل هذه المفارقات، سيرتبطان ببعضهما.

اذا فصديقتها على حق، ولا بد انها ادركت الان حقيقة شعور توم بالنسبة لشارلي.

كما ان وين ادركت انه ليس من سبب يدعوها لتقول له بأنها لا يمكنها الزواج منه، لأنه سيبتعد عنها بكل بساطة دون ان يحاول قطع العلاقة بينهما بالطرق الحضارية المعترف بها.

لكن كل الذي كانت تتمناه، ألا ينتظر منها الاستقالة من عملها في فندقه، فلقد اجهدت نفسها كثيراً حتى اصبحت

مؤهلة وناجحة، وبالتالي مستقرة استقراراً مادياً كافياً، وعندها فقط، اكتسبت الاحترام والقيمة لنفسها وبالذى صنعته يداها.

فالفتاة التي وبغباء منها، تجاهلت نصيحة والديها في تحقيق ذاتها قبل الاقدام على الزواج من جايمس أو غيره، أصبحت الآن امرأة ناضجة تدرك مدى الخطأ الفادح الذي قامت به. وها هي الآن تشعر ما اهمية ان يكون المرأة محترماً، ويعامل بتقدير من الآخرين.

وعاد السكون والهدوء في المنزل يضايقانها، ربما قد يسليها لو قامت ببعض التنظيفات خصوصاً وانه كان قد مضى عليها وقت طويل منذ دخولها إلى غرفة المخزن. وكما تعلمت من خبراتها العديدة، ان العمل الجسدي الشاق كفيل بأن يبعد الأفكار المشوشة عن رأسها.

وبعد مضي نصف ساعة من الزمن، بدأت تشعر بالإرهاق، فجلست باشمئزاز تنظر إلى كل الأشياء التي كانت قد جمعتها وتساءلت، كيف كدست وجمعت مثل هذه السخافات في حياتها؟ كتبها المدرسية القديمة على سبيل المثال، لماذا احتفظت بها؟ وكل هذه الصور... وعجبت عندما لاحظت ان احد البوابات الصور يتتصدر هذه الأكواكب الكبيرة وقد سقطت احدى الصور منه.

وعندما انحنى لتلتقطها، لاحظت ان الصورة كانت تخصها هي، وتظهرها حاملاً، فتذكرت كيف ان اخاها اخذها منها وقال لها مداعباً، انه كلما نظرت اليها ستجعلها تتذكر بأن تكون اكثر حذراً ووعياً في ألا تصبح حاملاً من جديد.

لقد از عجتها مداعبته تلك في ذلك الحين، لكن الآن وهي تنظر إليها بإمعان، تفهمت معنى التعليق الذي وجهه إليها. لقد كانت حقاً أقرب إلى الطفولة من النضج، وقد ربطت شعرها خلف رأسها المستدير فوق كل ذلك كانت حاملاً بشارلي. ومن يرى هذه الصورة يلاحظ التناقض الكبير ما بين الوجه وحالة الجسد.

هل ان الكاميرا هي التي جعلتها تبدو صغيرة السن، ام أنها هي حقاً كانت تبدو كذلك؟ أنها تذكر بأنها كانت تبدو دائماً أصغر من سنها الحقيقي... على أية حال، بعد ان أصبحت في التاسعة عشر من عمرها لم تعد تبدو كذلك وبالطبع ليس كما تظهر في هذه الصورة.

ارتجفت يدها عندما امسكت تلك الصورة وقالت في نفسها، بأنه لا عجب اذا كان جايمس قد ابتعد عنها ورفضها رفضاً قاطعاً لا رجوع عنه.

وبيدين ترتجفان، قطعت الصورة إلى نصفين ثم قامت بتمزيقها إلى قطع صغيرة ورمتها بعد ذلك فوق الأكواخ التي لا تريدها.

لقد ألمها كثيراً أن ترى تلك الصورة القديمة لها، هل لأنها اعطت الحق الكامل لرفض جايمس لها يا ترى؟

انها ليست بحاجة إلى صورة تذكرها كم كانت غير ناضجة، مدللة وسخيفة في جميع تصرفاتها. لكنها لم تكن وحدها الملامة. ألم يشجعها جايمس على حبه مدعياً بأنه يحبها حباً كبيراً؟ ولكن كيف وبأية طريقة تمكّن من حب فتاة ساذجة ومتطلبة مثلها؟ إنها وفي أكثر الأحيان كانت تلاحظ من تصرفات شارلي بأنه ورث عنادها السخيف، ولهذا

السبب كانت لينة ومتسللة معه على عكس ما يجب ان تتصرف.

نهضت بإعياء وهي تنفس الغبار عن بنطالها. وقررت متى يعود شارلي، أن تضرم النار معه في هذه الأشياء السخيفه. ثم وضعتها في كيس بلاستيك كبير، وبعد ذلك جمعت ورتب الأشياء التي تريد الاحتفاظ بها.

وفكرت في ان يجعل من هذه الغرفة، غرفة صغيرة للدرس، وهي تتجاهل ذلك النداء الخافت والساخر في داخلها، بأنها تخطط لمثل هذا العمل كي تبعد هواجسها ومخاوفها عنها، وبأن تحصيل شارلي للعلم لن يكون معها بل مع أبيه.

بدأت تشعر بألم شديد في حلقها، الأمر الذي اعتبرته ردة فعل طبيعية لمعاناتها النفسية. وكان الألم الحاد في رأسها مازال يضغط على حواسها. وعندما ابعدت شعرها عن وجهها، لاحظت كم انه كان متسخاً.

نظرت إلى الساعة في يدها وادركت كم تأخر بها الوقت في غرفة المخزن. لا بد ان جايمس وشارلي في طريق العودة إلى المنزل، ومن دون شك، سيكون ابنها قد أنهكه الجوع. وبعزم شديد ابعدت تلك الهواجس من رأسها، وهي تحذر نفسها من أنها لو استسلمت لل Yas ستسدي لجايمس خدمة كبيرة، فحملت الكيس الكبير وأخرجته إلى خارج المنزل. كان البنطال الذي ترتديه واسعاً جداً وقد يمتد على أية حال، وسبب اتساعه هو الضغط والقهر الذي عانته مؤخراً، من جراء العلاقة بين توم وشارلي، مما جعلها تخسر في ذلك بضعة كيلوغرامات.

على الأقل، لقد ازاحت عن عاتقها احدى المشكلات التي كانت تقلقها، فهي لن تتزوج من توم، خاصة بعد تصرفه الشاذ حيال ابنها.

نظرت في المرأة تتأمل وجهها، وهالها ان ترى الشحوب عليه، وادركت أن المساحيق التجميلية لن تعيد إليه رونقه وجماله، بل هدوئها النفسي وصفاء ذهنها، لكنها ومع ذلك، وجدت انه من المناسب لو انها وضعت احمر الشفاه على شفتيها ستبدو أكثر إشراقاً.

لقد اخفت السترة الواسعة ضعفها، وهذا لا يعني انها كانت نحيلة كثيراً، ولكن اذا خسرت من وزنها اكثر من ذلك، فستبدو فعلاً كذلك، وهزيلة وغير جذابة ولا بأي شكل.

وفكرت بجايمس وبالفتيات اللواتي عرفهن، تقارنهن بنفسها، وكم انهن يتدقن حيوية ونشاطاً وجاذبية.

لقد شعرت مرة بهذا الشعور، انما لفترة محدودة من الزمن، حيث كان جايمس يقول لها كم انه يحبها. وكم كانت تبتهج نفسها عندما يحاول بشتى الطرق ان يسعدها.

لقد اعتقدت بأنه سيحافظ دوماً على وعوده لها، ولكنه لم يفعل. اغمضت عينيها والذكريات تأبى الا ان تعصف بها، واخذت ترتجف وكل لحظة من لحظاتها السعيدة مع جايمس كانت تتهددها وتتوعدها بالانهيار في اية لحظة.

واستفاقت من دوامة ذكرياتها على صوت عويلها الخافت أولاً، وعلى صوت اغلاق ابواب السيارة، ومن ثم على صوت خطوات في الخارج، وفتح الباب الخارجي.
«أمي، ها قد عدنا.» قال شارلي وقد دخل إلى غرفتها،

فاستعادت عيناهما بفترة. وتورد خدامها خجلاً، ذلك لأنها لم تجد شارلي وحده في غرفتها بل جايمس أيضاً.
ترى، كم من الوقت مر على وقوفه على باب غرفتها؟ وهل رأى الحالة التي كانت عليها يا ترى؟ هل ادرك بأنها كانت تحلم وتفكر باللحظات التي اسعدها والهب فيها مشاعرها؟

شعرت بالخجل من نفسها وابتتها على غباوتها، فكم من المرات بعد طلاقهما كانت تعبر بها الذكريات وتؤرق مضغوها، ولكنها هل توقفت مرة واحدة عن ذلك لتلوم نفسها وتقول لها بأن ما تفعله لهو تدمير ذاتي لها؟

كان شارلي في تلك الاثناء يثرثر بحماس عن كل الذي شاهداته ورأيته وعن سيارة جايمس الفخمة، لكن وبين لم تستطع ان تركز على حديثه. كان وجهها مازال متورداً بحمرة الخجل وكأن جايمس قد لاحظ ما كانت في الحقيقة تفكّر به.

«آسف، ان كنا ازعجناك.»

جاءت كلمات جايمس هادئة، فبقيت بها وكأنها قامت بذنب عظيم، وانعكست في عينيها رهبة الموقف وكيفية الخروج منه.

ماذا كان يقصد؟ ما الذي يحاول ان يقوله؟ ابتعدت بنظراتها عنه وهي مازالت تشعر بالخجل. لكنه اقترب منها ومال اليها، فخطت بسرعة خطوة إلى الوراء وقد افزعتها مبادرته تلك.

«لقد اسقطت هذه.» قال ذلك وقد امسك باحمر الشفاه خاصتها، وتساءلت وقد اخذ يدقق النظر من رأسها إلى

اخمس قدميها، فيما لو ان ضميرها هو الذي يوحى اليها بأن تعتقد ان نظراته تلك تؤكّد لها انه ادرك ما كانت تفكّر به، وبأن الذكريات كانت تؤلمها وتعذبها.

قطع حبل افكارها صوت شارلي يقول: «أمي، أنا جائع. ماذا أعددت للعشاء؟»

كان في الثلاجة فخذ من لحم البقر، وكانت تريد ان تعدد لطعام الغذاء وقد اشتريته من ملحمة البلدة مع بعض النقانق منذ يومين. لكن وعندما جلست وين إلى المائدة، وجدت نفسها لا تستطيع ان تأكل لقمة واحدة منه، لأنها كانت ما تزال مضطربة من دخول جايمس المفاجيء عليها، وهي في تلك الحالة العصبية التي اعادتها إلى سنوات عديدة مضت.

وضعت الشوكة والسكين جانباً، وابعدت صحنها تويخ نفسها. كيف فعلت ذلك وكيف شعرت بأنها...؟

وقفت على قدميها بتثاقل، وقد ادركت تمام الادراك بأن جايمس يراقبها، لكن ذلك لم يكن يهمها على الاطلاق. وتوجهت إلى حنفيه المطبخ لتسكب لنفسها كوباً من الماء، ثم اخذت ترشّفه على مهل حين لحق بها جايمس.

«هل انت بخير؟»

«الم بسيط في رأسي، وهذا لا يزعج.» لقد كذبت عليه، بينما في الحقيقة كان حلقها يلتهب من الألم. وتساءلت كيف يجرؤ ان يطرح مثل هذا السؤال عليها، بينما هو يعلم حق العلم بالذى تشعر به من وجوده هنا... ومشاهدته مع شارلي، ومن... ومن كل شيء.

ولكنها لم تستطع الاعتراف لنفسها بأن ما كان يخجلها

ويذهبها هو رؤيته المفاجأة واقفاً عند الباب عندما فتحت عينيها، وقد تسائلت فيما لو كان يراقبها، فلو كان حقاً... فقال لها مؤاسياً: «بعض الهواء الطلق قد يجديك نفعاً اكثر من الحبوب المهدئة.»

ولكنها لم تعد تحتمل اكثر من ذلك، فوضعت كوب الماء جانباً واستدارت نحوه بسرعة وعيناها تشتعلان غضباً. «ربما تمكنت في شق طريقك إلى هنا بسهولة يا جايمس، وربما تملك القدرة على تهديدي وتوعدني كي اسمح لك بالبقاء، وربما يمكنك ان تقنع شارلي بأنك رجل عظيم كاسطورة سوبرمان، ولكن ولا شيء من ذلك يعطيك الحق لتشير بما يتوجب علي فعله. انتي امرأة ناضجة الآن، ولست طفلة، و...»

قطّعها يحاول ان يهدىء من انفعالها: «نعم. أعرف انك كذلك، وبأنك لم تعودي طفلة.»

أخذ جايمس ينظر اليها بعينين مشعتين، فحاوت ان تصرخ في وجهه وتقول له ان يتوقف عما يقوم به، ولكنها لم تستطع وشعرت بشلل تام في أطرافها، ماذالو تقدم منها أكثر؟

فتح باب المطبخ فجأة ليدخل منه شارلي، سائلاً: «ما

نوع الحلوى التي اعدتها بعد العشاء؟»

كانت وين تشعر بدوار شديد في رأسها فاجابت بتكلّف: «مربي الفاكهة يا شارلي. وهناك بعض اللبن اذا كنت ترغبه...»

جاءت كلماتها طبيعية وخالية من اي تأثر، كذلك بدت حركتها طبيعية عندما تناولت الصحن من يد شارلي لتتوجه

إلى الثلاجة، لكن في داخلها لم تكن الأمور طبيعية، بل كانت ترتعش من الذي كاد يجري بينها وبين جايمس. وكل ذلك بسببها. قالت لنفسها، فلو أنها لم تطلق لذاكرتها العنان والعودة بكل اندفاع إلى الماضي، لما كان خطر على باله أن يحارب ضعفها كامرأة، وها هو الآن يحمل سلاحاً جديداً ليحاربها به ليأخذ شارلي منها.

ليس هناك أدنى شك لديها الآن، لماذا وبتعمدٍ يحاول تعذيبها، كما أنه يريد أن يضعفها بقدر ما يستطيع، يريد تحطيم وتهشيم العلاقة القائمة بينها وبين شارلي، دون أن يهمه الخساسة في افعاله تلك.

الفصل السادس

ان ينتاب الأرق المرء ليلترين متواصلتين دون أن يجد للنوم سبيلاً إليه، فهو أمر متعب يصعب احتماله. هذا ما فكرت به وبين وهي تنهض من سريرها. والأسوأ من ذلك كله، ان اليوم هو يوم الاثنين ويتجوّب عليها أن تكون في مركز عملها في الساعة التاسعة تماماً، بعد أن توصل شارلي إلى مدرسته.

فتحت باب غرفتها لتتوجه إلى الحمام وهي تشعر بقلق خشية في أن تلتقي بجايمس، ولكنها شعرت بالهدوء والسكينة يلفان المكان، كما أن باب غرفة جايمس كان ما يزال مقفلأً.

في كل الأحوال، ليس من موجب يدعوه للنهوض باكراً. قالت لنفسها باشمئزاز وهي تدخل إلى الحمام وتقفله بحاكم وراءها. استحمت وغسلت شعرها بسرعة ونظفت أسنانها، وبعد أن انتهت من كل ذلك، توجهت إلى غرفة شارلي لتأكد أنه استيقظ من نومه، قبل أن تعود إلى غرفتها لترتدي ملابسها.

بعد ذلك، كان عليها تحضير طعام الفطور في الطابق الأرضي وكان العمل الروتيني لها، أن تصفي إلى نشرة الأخبار وهي ترتدي ملابسها، إنما في هذه المرة كانت تصفي إليها بقلب عاصف منقبض.

ذلك لأنها لم تألف وجود جايمس في هذا المنزل منذ سنوات طويلة... معها ومع شارلي...

قطبت حاجبيها وقد وصلت بتفكيرها إلى هذه النقطة، ثم أسرعت تهبط السلالم لتكمل مستلزمات شارلي. كان فطورها يتالف عادة من سلطة الفاكهة الطازجة وبعض الخبز المحمص، مع فنجانين من القهوة على الأقل. أما فطور شارلي فقد كان أكثر دسامنة، الحليب الكامل الدسم مع دقيق القمح، الخبز المحمص وعصير البرتقال الطازج.

أخذت تعد حقيقة غداء شارلي الذي سيتناوله في المدرسة، وقد التوت قسمات وجهها باشمئزاز لاختياره البيتزا مع البسكويت المحضر في البيت، هذا بالإضافة إلى علبة صغيرة الحجم لسلطة الفاكهة الطازجة وبعض العصير الطازج أيضاً. لكنه كان في بعض الأحيان يفضل الخروج من المدرسة ليتناول طعام الغداء في أحد المطاعم التي تقدم الوجبات السريعة، ولغاية الآن لم تعاني من أية مشاكل في ذلك، مع أن قانون المدرسة كان صارماً ويعني خروج التلاميذ من المدرسة وهم دون الصف الخامس.

عادت إلى غرفتها لتصلح من زينتها عندما نزل شارلي ليتناول فطور الصباح. وكان قد ترك باب الحمام مفتوحاً مما مكتها من رؤية المناشف المبللة مرمية باهتمال على الأرض. تضاعت من ذلك ونادت على ابنها شارلي.

جاء شارلي إليها، فبادرته مؤنبة: «لقد تركت الحمام غير مرتب بعد الاستعمال، والمناشف مرمية على الأرض. ضعها في سلة الغسيل، أنت تعلم جيداً مكانها.»

كانت تعلم أنه من الأسهل عليها أن تخضع لهذه المناشف بنفسها في السلة، ولكنها لا ترید أن تشجع شارلي على

الاهمال والكسل، لذا فقد أصرت على موقفها بعناد شديد وتوجهت إلى الطابق الأسفل.

شربت القهوة بسرعة وهي تذكر شارلي ألا ينسى عدة رياضة.

«سأمر عليك عند هيزر كالعادة.»

قالت له ذلك وتوجهت إلى غرفتها لتضيف بعض المساحيق التجميلية على وجهها.

كان باب غرفة جايمس مازال مفتوحاً. قطبت حاجبيها عندما مررت من أمام غرفته، وتساءلت هل تقع على الباب وتسأله إن كان يرغب في القهوة؟ فهناك الكثير منها في الإبريق.

نُكِرت نفسها وبقوسها، بأنه ليس هنا شيئاً وعليها أن تحسن ضيافته، بإمكانه تحضير القهوة بنفسه لو أراد. أخذت تسرح شعرها وجمعته إلى الوراء بربطة ملونة. أنها تسرية بسيطة تناسب طبيعة عملها.

ثم لاحظت بعد ذلك أن المناشف ما زالت على أرض الحمام.

نادت على شارلي بغضب، قائلة: «شارلي!»
«حسناً، حسناً.»

كانت تهبط السلالم عندما فتح باب المنزل ودخل منه جايمس. من المؤكد أنه كان يمارس رياضة الجري، فقد كان شعره مبلل بالعرق. دهشت لذلك وكأنها ترى شيئاً غير مألوف أمامها، ما جعله يقف في مكانه ويركز نظراته عليها، فشعرت وقد تسمرت في مكانها للحظة أو أكثر، أنها تحرق من رأسها إلى أخمص قدميها بمزيج من الاستياء والحدر، بينما أخذ قلبها ينبض بشدة.

وحتى تخلص نفسها من كل ذلك، عادت تنادي شارلي: «هيا يا شارلي! فأنت تعرف جيداً بأنني يجب أن أكون في الفندق في التاسعة تماماً. فاذا لم تكن حاضراً خلال دققيتين فقط، ستضطر إلى الذهاب إلى مدرستك سيراً على قدميك.».

انه تهديد عادي ومؤلف عادة بين الأم وابنها، لكنها لم تكن عادة تنفذه، ولكن جايمس لم يرض بقولها هذا. وقال لها: «اسمعي. يمكنني أن اصطحبه بنفسي إلى المدرسة.»

غضبت من نفسها بقدر ما غضبت منه. وكانت على أبهة أن ترفض اقتراحه هذا عندما ظهر شارلي فجأة يمشي بلهفة ضوضاء وقد رسم ابتسامة عريضة على وجهه، قائلاً لأبيه: «هل يمكنك ذلك يا أبي؟ انه لأمر عظيم! أحب أن يرى الجميع سيارتكم الفخمة.»

غضبها الشديد من جايمس جعلها تتوجه إلى شارلي قائلة بعنف: «هذا تصرف بغيض يا شارلي، فالامور المادية ليست الأهم في هذه الحياة، انما الانسان بما يفعله بذاته.» أجابها شارلي بنفور وقد مر بجانبها متوجهاً إلى المطبخ: «نعم، نعم.»

«الا ترين أنك بدأت بعظامك الأخلاقية في وقت مبكر هذا اليوم؟» سألاها جايمس بسخرية بينما ابتعدت عنه بغضب، فأضاف بهدوء: «آه. بالمناسبة يا وين. ربما قد يكون تعليقك هذا موجة إلى أكثر منه لشارلي، لذا أريد أن أوضح لك شيئاً هاماً، قد استغل ممتلكاتي وامكاناتي

المادية لرشاوة احد ما، ولكن لا وألف لا أن أفعل ذلك مع بيتي.»

سألت وين نفسها بيسأس بعد ذلك عندما أصبحت في سيارتها، لماذا يحصل كل ذلك؟ ولماذا يتحكم بها بأقواله وأفعاله؟

وهكذا بدأت نهارها من سيء إلى أسوأ. لقد تصرف توم معها بمزاج مختلف اليوم، وأنبها على هفوة دقيقة وحساسة ارتكبها يوم السبت الماضي بالنسبة للمؤتمر الذي كان من المقرر عقده في نهاية الأسبوع الحالي.

وبصبر طويل، أخذت وين تصفي اليه وتحاول جهدها أن تسيطر على أعصابها وتذكر نفسها كم هي بحاجة إلى المحافظة على عملها هذا. وكان مبدأهما، هي وتوم، الآية يتباحثا سوي بالأمور العملية ولا شيء عدا ذلك، عندما يكونان في مركز العمل. لذا، لم تندهن عندهما لم يفاتها بالذى جرى بينهما ليلة السبت، ولكنه كان يثيرها ويغضبها كلما وجه ملاحظات صغيرة مقتضبة لوجود جايمس في بيتها.

لم يتسع لها تناول طعام الغداء بسبب ضغط العمل الشديد في هذا اليوم. وعندما تمكنت من مغادرة الفندق بعد ساعة من الموعد المحدد، شعرت بعصافير بطنهما تزقزق من الجوع معرضة على هذا الاهتمام منها.

كان عليها أن تأتي بشارلي من بيت هيزر، وتسرع إلى بيتها لتحضر طعام العشاء، ومن بعد ذلك تجهز نفسها لتذهب مع هيزر إلى النادي الرياضي. دقت باب صديقتها

وبدأت بالاعتذار منها لتأخرها، عندما فتحت لها تلك الصديقة الباب.

قاطعتها هيرز لتقول لها بعبوس: «آه، لكن شارلي غير موجود. لقد قال لداني بأن والده سيصطحبه من المدرسة». أخذت تلعن جايمس من بين انفاسها المتلاحقة، وعادت إلى سيارتها واقفلت بابها بعنف وقوة. كأنها بذلك تزيل الثقل الكبير الرازح فوق صدرها. وعندما حاولت أن تدير محرك السيارة، رفض ذلك المحرك أن يدور بعناد وصلابة. وأخذت تهدئ من نفسها وتحاول من جديد تشغيل محرك السيارة، وبعد لحظات قليلة استجاب المحرك لمحاولاتها المتكررة.

وصلت أخيراً إلى بيتها، وتوجهت رأساً إلى المطبخ، لتجد شارلي وجايمس يجلسان إلى الطاولة وقد انتهيا من الوجبة التي كانت قد قررت أن تتناولها لعشاء هذه الليلة. سألتهما باشمتاز وقد خلعت عنها سترتها: «هل استمتعتما بها؟»

نظر شارلي إليها بدهشة، وأدركت في الحال كم كانت فضة بكلامها.

داعبت شعر شارلي وقالت: «آسفة. فأناأشعر بالتعب قليلاً.»

توقفت عن الكلام وقد لاحظت الطريقة التي كان ينظر بها جايمس إليها، ودون ارادة منها استدارت لتنظر إليه.

سألها جايمس: «هل كان يومك شاقاً؟»

من المستبعد أن يكون حناناً وعاطفة ما تراه في عينيه، انه فقط يحاول اثارة غضبها بطريقة مختلفة.

أجابته ببرود: «نعم. يمكنك أن تقول ذلك. لكن الذي لم أقو على احتماله، هو أن أذهب إلى صديقتي هيرز لاصطحب شارلي وافاجأ بأن والده من عليه في المدرسة واصطحبه إلى البيت.» ثم تحولت إلى شارلي لتقول: «كان من الواجب عليك يا عزيزي أن تتصل بي وتعلمني بذلك.»

لقد حاولت جاهدة أن تزرع في رأس ابنها الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، لكن دون أن تضغط عليه وتحمّله فوق طاقته. كما أن شارلي كان يعلم أنه إذا اضطر إن يغير مواعيده معها، عليه أن يتصل بها ويعلمها بالأمر. وكانت تقول له دائماً أنه يفترض منه أن يحترم ويقدر مشاعر الآخرين، وأن هذا التصرف في غاية الأهمية. وكانت تصر على أن يظهر حسن السلوك والتصرف إلى المقربين إليه كما لمن يصادفهم في المجتمع، وتعيد على مسامعه دائماً: «عامل الآخرين كما تريد أن تعامل.»

لكنها الآن شعرت بالأسى في قلبها عندما أخفض شارلي رأسه وقد شعر بالذنب، وهو يقول لها: «آسف يا أمي..» انها في الحقيقة ليست غلطته، بل غلطة جايمس. قالت في سرها وهي تبتعد عنهم، لكنها سمعت جايمس يقول وكأنهقرأ ما كان يدور في خلدها: «لا. لقد كانت غلطتي واعتذر لذلك يا وين. لقد فكرت فعلاً بالاتصال بك، لكن بعد الذي سمعتك تقولينه ليلة السبت الماضي، رأيت أن آخر ما تريدينه أن اتصل بك في الفندق. فلو أن صديقك...»

تملك وين الغضب الشديد والتفتت إليه بحدة وقالت: «إن توم لا يدير سنترال الهاتف بنفسه. ولنفترض انه فعل ذلك

بالصدفة، فأنا متأكدة بأنه سيدرك السبب الذي دعاك للاتصال بي..»

قالت ذلك مع أنها كانت تعلم جيداً أن توم لا ولن يتفهم السبب الذي دفع بجايمس ليتصل بها، أو لنقل أنه سيتعذر الْيَتَفَهَّمُ الْأَمْرَ. على كل حال، هذا لم يعد مهمَا الآن... خاصة وأنها أدركت أنه لن يكتب لعلاقتها بالاستمرار.

قطع شارلي حبل أفكارها ليقول: «هل ستخرجين هذه الليلة يا أمي؟ أريد أن أشاهد مع أبي هذا الفيلم...»

فقال جايمس بلطف: «مع صديقك مجدداً؟ أرى أنك تدعين بأنك أم صالحة تهتم برعاية ابنها، بينما ومن ناحية أخرى، أراك تتكلين على الآخرين ليهتموا بالمسؤوليات المترتبة عليك. ماذا خططت لشارلي هذا المساء؟ في أن يقضي هذه الليلة في بيت صديقة أخرى؟»

غضبت وين غضباً شديداً، لكنها أخذت تهدىء نفسها، وقد لاحظت عيني شارلي تشuan باهتمام شديد لما يدور من حوار بينها وبين والده. أنها لن تفجر غضبها قبل أن تبعد شارلي إلى الطابق الأعلى.

قالت بهدوء بالغ بينما الغضب يهزها هزاً عنيفاً: «المعلومات الخاصة، أنا لن أقابل توم هذه الليلة، بل ابني ذاهبة إلى النادي الرياضي مع صديقة لي. أما بالنسبة لشارلي، فهو عادة يذهب معي..»

كان هناك لحظة صمت قبل أن يقول جايمس: «هل يحب شارلي هذا النوع من الرياضة؟»

أخذت وين تكرز على أسنانها بانفعال شديد، ثم أجابت: «إن شارلي سيسجع مع داني في بركة السباحة التابعة

نادي. وقبل أن تتفوه بكلمة أخرى، أحب أن أعلمك أن شارلي شهادة في السباحة، كما أنه يوجد عامل للإنقاذ دائماً عند البركة. وكما ترى، أنا لاأشجعه على أن يلازم البيت لمشاهدة أفلام الفيديو. أود هنا أن أسألك، هل كلفت نفسك مرة واتصلت بي من استراليا لتسألني كيف أتدبر سيرة حياتي معه؟ لقد كنت وحدي المسؤولة الوحيدة عنه منذ ولادته لغاية الآن يا جايمس. وإذا كنت تظن بأنه يمكنك الدخول إلى حياتي الآن لتخبرني كيف أعامل ابني...»

صحح جايمس قولها مقاطعاً: «ابننا».

ادركت وين أنه بالرغم من هدوء أعصابه ورباطة جأسه، كان في داخله غضب شديد يوازي غضبها، كما أنه كان في المطبخ جو محموم يهدد بالانفجار في أية لحظة، فتصلت أصواتها وسرت قشعريرة باردة في عروقها ولكنها شعرت فجأة بعد ذلك بأنها لا تود الاصطدام معه وتريد الابتعاد عنه. وباعياء شديد، اندفعت من أمام جايمس إلى باب المطبخ بصدر منقبض وتوتر شديد في داخلها.

بقي الاتهام الذي وجّهه جايمس إليها يطن في أذنيها. لم تبق في النادي الرياضي طويلاً كما هي العادة، حتى انهالت تستحم هناك ولم تبدل ملابسها الرياضية، ورفضت اقتراح هيزر بتناول القهوة في أحد المقاهي قبل عودتها إلى البيت.

وقالت بوجه شاحب: «آسفه، لا يمكنني ذلك. لم يكن علي أن أخرج أبداً. هذا عمل غير مسؤول مني خاصة أن ابني في البيت.»

دهشت هيزر من كلامها وقالت: «ماذا؟ أنت غير مسؤول؟ من الذي قال لك ذلك؟»

أجابت وين متألمة: «جايمس... اسمعي يا هيذر، لو بدأت بالحديث في هذا الشأن الآن، قد لا أتوقف، ولكنني أقسم لك بأنه لو أدعى مرة أخرى بأنني لا أراعي حقوق شارلي، فلسوف...» توقفت عن الكلام وقد انهمرت دموعها. أما هيذر التي لم تشاهدتها مرة على هذه الحال من اليأس والانزعاج، أخذت تحدق بها بخوف وقلق.

واسرعت تقول لها: «هيا الآن، أنت بحاجة لفنجان من القهوة يهدئ من أعصابك المتوترة.»

أجابتها وبين بسخرية: «ان الرياضة رغم تأثيرها لم تستطع أن تهدىء من أعصابي المتوترة، كما أنتي لا يمكنني البقاء أكثر. وأسألك يا هيزر، لماذا نحن النساء نشعر بالذنب أكثر من الرجال؟ أعرف أنتي فعلت كل ما في استطاعتي لشارلي، ومع ذلك ربما لم أكن متميزة، لكن من هو الانسان الكامل على وجه الارض؟ لقد تمكّن جايمس وفي غضون أيام قليلة أن يحولني من امرأة عاقلة، هادئة، حكيمة وناضجة، إلى امرأة لا يؤمن جانبها، غير قادرة على السيطرة على أعصابها، وقد جعلها تشعر أيضاً بأنها لم تكن أهلاً لتنشئه وتربية ولدها.»

أجابتها هيذر وهي تحاول تهدئتها: «هراء! أنا لم أعرف أبداً أفضل منك، حتى أن والدة ريك تصفك بأنك أم رائعة ومثالبة.»

ضحت وين لقولها هذا لأنها تعلم شعور صديقتها تجاه
حماتها المستبدة بمعتقداتها وتصرفاتها التي لا تحتمل ولا
بأى شكل من الأشكال.

أخذت وين ترتجف من البرد عندما أصبحت في

سارتها، فأشعلت جهاز التدفئة، وهي تلوم نفسها لأنها لم تستحم فور انتهاءها من مزاولة الرياضة البدنية. إن هذا الارتجاف الشديد لا علاقة له بمواجهة جايمس بعد قليل، لكن كيف تفكر بذلك ولماذا؟

كانت في حالة يرثى لها عندما خرجت من السيارة ودخلت المنزل، ثم توجهت إلى المطبخ ومن ثم إلى غرفة الجلوس لتجد شارلي يجلس بجانب والده يشاهدان فيلماً من الأفلام.

وعندها حاولت أن تتكلم مع شارلي، قال لها أمراً:
«اسكتي يا أمي، لقد وصلنا إلى النقطة المهمة في هذا
الفيلم..»

فكرة بيأس بينما كانت تعود إلى المطبخ، أنها قد أسرعت بالعودة لأجله لكنه لم يكتثر لها. نظرت إلى كراسى المطبخ طويلاً تريد أن تجلس على واحدة منها، ولكنها شعرت بأنها لو فعلت ذلك فربما لن تستطيع النهوض عنها لاعيائها الشديد، كما أنه كان عليها أن تقوم بكى بعض الملابس. أخذت تئن انياناً مكتوماً وقررت أن تعد لنفسها فناحاً من القهوة أو لا.

«أرتاحي أنت... وسأقوم عنك بهذا العمل..»
لم تتوقع دخول جايمس المفاجئ عليه، فالتفتت لتنظر
إليه بوجه شاحب هزيل، وتساءلت لماذا ينظر إليها بهذه
الطريقة الشاذة والغريبة.

لامست وجهها لا شعوريا، فادركت حالاً كيف كانت تبدو،
شعرها مبلل من العرق، تماماً مثل ثياب الرياضة التي
ترتديها.

قالت بحرج شديد: «لم استحム بعد ان زاولت الرياضة، اعتقدت أن شارلي...»
شارلي بخير. انه يشاهد فيلما كما رأيته. لكن ماذا تعني بذلك لم تستحمي؟ ثم عبس في وجهها فجأة ليتابع قائلاً: «من المؤكد انك تعلمين كم هو مهم في أن تهدئي وترتاحي بعد التمارين الرياضية... والضرر الذي قد تسببيه لنفسك بتجاهلك لمثل هذه الأمور؟»

ملاحظة جديدة يلقاها جايمس وكأنه يذكرها بأنها غير جديرة بالمسؤولية تجاه نفسها وتجاه غيرها. فاضطررت وشعرت بدور شديد، خاصة وأنها كانت تدرك جيداً أهمية الراحة بعد الانتهاء من مزاولة الرياضة، لكنها شعرت بهذه الليلة بأن عودتها إلى شارلي بسرعة أهم بكثير من الانتباه لنفسها.

رفعت يدها المتعبة إلى فروة رأسها قائلة: «لم... لم أعتقد...» نطقت بهذه الكلمات بصوت أبج وهي لا تدري لماذا نطقت بها.

«لا، انك كعادتك دائماً، متهرة وطائشة.»

تغيرت نبرة جايمس إلى نبرة هادئة ولطيفة. لقد لاحظت وين ذلك ولكن رأسها كان مشوش جداً ليحلل سبب ذلك التغيير.

«اسمعي. لماذا لا تنزععي عنك هذا؟ فأنت مجدهة جداً.» وبدور شديد في رأسها، شعرت بيد جايمس تلامس وجهها الحار كأنه يريد أن يقدّر حرارتها.
كانت فعلاً تشعر بالحرارة الشديدة... والتعب المضني... واليأس والألم...»

تجمدت وين ولم تستطع الحراك عندما شعرت بأصابع يده فوق جبينها، فتمتنت في داخلها ألا تضعف أمامه وتتذكرة بأن هذا الرجل كان في يوم من الأيام حبيباً وزوجها، ووالد ابنها...»

قطع الصمت بينهما لهايثما الحاد، فأبعد جايمس يده عن جبينها وتراجع خطوة إلى الوراء بعيداً عنها، فأسرعت بالخروج من المطبخ بينما كان قلبها يخفق بخوف وبخيبةأمل.

كان هذا الحدث خاتمة آلامها لهذا اليوم. فقد جاءها شارلي ليبشرها بأن المدرسة ستقلّل أبوابها يوم الأربعاء بسبب المشاكل الحاصلة في جهاز التدفئة.
وذكرها شارلي قائلاً: «لقد أخبرتك بذلك في الأسبوع الماضي يا أمي.»

«آسفة يا عزيزي، لقد نسيت ذلك. على العموم، سأسأل هيذر اذا كان يمكنه ان تمضي ذلك اليوم في بيته مع داني.»

فاجئها جايمس بقوله: «لا داعي لذلك. يمكنك أن أمضي ذلك اليوم مع شارلي. هل لديك مانع يا شارلي؟»
وتساءلت وين في نفسها، لماذا الحظ سخي لهذه الدرجة مع جايمس؟ وقدرها هي كامرأة أن تتحمل ذلك بالطبع، أليس كذلك؟ فأوّل مرات برأسها موافقة وقد شعرت بالهزيمة مرة أخرى.

فقال شارلي بحماس وفرح: «يمكننا الذهاب إلى داينلاند.»

نظر جايمس بتساؤل إلى وين وقال: «داينلاند؟»

فسرحت وين قائلة: «انها مدينة ملاهي افتتحت الصيف الماضي، يمكنك الوصول إليها بأذنك الطريق العام، و....»

قاطعها شارلي موجهاً كلامه إلى أبيه قائلاً: «كانت أمي قد وعدتني أن تأخذني إليها السنة الماضية، ولكنها لم تجد وقتاً لذلك. كما أن جميع أصدقائي في المدرسة ذهبوا لمشاهدتها.»

امتنعت وين باشمئزاز أن تذكر شارلي أن السبب الرئيسي في عدم ذهابهما إلى مدينة الملاهي الجديدة، كان بسبب ذهابهما لتمضية عطلة نهاية الأسبوع في سنترباس.

الفصل السابع

كان توم قد أخبرها أنه يوم الأربعاء المقبل سيضطر أن يتغيب عن الفندق لأجل عدة اجتماعات عمل، ولكنه لم يلمح لها بشيء بخصوص خروجهما للسهرة السبت المقبل. وساوره وبين الشك، بأنه مثلها، قدقرر أن يضع حدًا لعلاقتهما معاً. كان يزعجها أن يتخلى عنها بهذه السهولة، وبأنه لا يهمه الزواج بتاتاً، وهي تعلم أنها لا يمكنها الزواج منه بسبب تصرفه الشاذ تجاه ابنتها شارلي.

نظرت من نافذة المكتب إلى الباحة الخارجية للفندق، ورأت حبيبين يتمشيان على مهل، ثم توقفا، فالتفتت المرأة تبسم له وقد قال لها شيئاً ما.

انهما لم يكونا حبيبين صغيرين، فشعرت وين فجأة بصدرها ينقبض بشدة من الوحدة والفراغ اللذان تحياهما. وللحظة يائسة، شعرت بالغيرة والحسد من تلك المرأة لم تشعر بمثلها تجاه أي كان في حياتها. فكم يكون الأمر رائعاً أن يكون للمرء شخص يهتم به ويغار عليه، ويمكن بمحبته، ويجده إلى جانبه كلما دعت الحاجة، ويمكن الاتكال عليه وفي أقسى الظروف. هزت رأسها بি�أس وأسى على السنين الطويلة التي أضاعتتها من عمرها.

هل كان هذا فعلاً ما تظنه بالعلاقة بين الرجل والمرأة في أن تتكل المرأة على الرجل؟
لا، بالطبع، ليس هذا مما تعتقد، إنما وفي بعض الظروف

المعينة وحيث تكون المرأة في أشد حالاتها من اليأس. تنهدت وين وركزت نظرها على شاشة الكمبيوتر أمامها، ضغطت على بعض المفاتيح المعينة لتعيد النظر في بعض حجوزات الفندق للأسبوع المقبل.

انهمكت في العمل طول الصباح وبعد ذلك خرجت لساعة من الزمن لتقوم ببعض المشتريات المنزلية. وكانت قد قررت ان تعد هذا المساء العشاء المفضل لدى شارلي. وبعد تناول العشاء، سiedeban معاً سيراً على الأقدام في نزهة طويلة، وبمفردهما، وخاصة وأن جايمس قد رافقه طوال هذا اليوم. وأضافت إلى مشترياتها البسكويت الذي يفضله شارلي ويطلبها دائماً، وقد تجاهلت الصوت الذي علا في داخلها حول أهمية اختيار الغذاء الأصح لابنها، ومن تصرفها الشاذ والمريض الذي تحاول فيه رشوة شارلي لتعيده إلى أحضانها.

وبينما كانت تنتظر دورها في محل المواد الغذائية لتدفع ما يتوجب عليها، عاهدت نفسها في لا تفكر بالطريقة التي يعتمدها الرجل بدهائه الشديد، في تدمير وتحطيم المرأة واستغلال ضعفها باستمتاع كبير، وهذا ما يفعله جايمس الآن وبطريقة ماكرة وذكية. إنه يتلاعب بمشاعر وين، ليس ذلك فحسب، بل بمشاعر شارلي أيضاً.

كانت دائماً ولسوء حظها تختار الصف الغير مناسب لتدفع ثمن مشترياتها، وسمعت سيدتين تنهدان بنفاد صبر بينما تم استبدال أمينة الصندوق بغيرها.

وسمعت احدى السيدتين تقول للأخرى: «طبعاً تعلمين بالخبر. لو أنها لم ترك بول، لما حصل شيء من ذلك.

فعهما كان رأيك في الموضوع، أقول لك بأن الولد يحتاج إلى الوالد، خاصة عندما يبلغ هذا العمر. أنا لا أعني أن ستيفي لم يكن متطلباً بعض الشيء، إنما هي المرة الأولى التي تتدخل فيها الشرطة منذرة، لكن وكما قلت لها ذات مرة...»

تضايقت من الكلام الذي تفوحت به تلك السيدة والذي سقط كالصاعقة على رأسها، فابتعدت عنهم بسرعة كي لا تسمع المزيد عن أهمية الآباء في حياة الأولاد.

لكن ماذا عن الآباء الذين دمروا حياة أولادهم؟ أو عن الآباء الذي غرسوا في عقول بناتهم الغرور والابتعاد عن الرجل الذي لا يهمه منهن سوى علاقات عابرة، ولا شيء عدا ذلك؟ ماذا أيضاً عن الآباء الذين علموا أبناءهم بأن المرأة غير قابلة لأن تعامل باحترام وتعد في المرتبة الثانية. والأسوأ من ذلك، أن الرجال علموا أبناءهم وبناتهم بأن المرأة، وحسب المقوله القديمة نوعان: السيدة الطاهرة، والغانية اللعوب؟ ماذا عن الآباء الذين يسيئون معاملة أولادهم ويحرمونهم كل حق من حقوق الإنسان المعترف بها؟

انتبهت وين أخيراً، أن أمينة الصندوق تنتظر منها أن تفرغ مشترياتها من العربية، وان الصف الطويل من ورائها أخذ يتمتم متذمراً منها. وبخجل شديد أخذت تفرغ ما في العربية ببدين مرتجفين.

بالطبع، وكما يحصل دائماً عندما يكون المرء على عجلة من أمره، كما هي الحال مع وين الآن، كانت حركة السير سيئة للغاية. لقد فاتتها أن تقرأ في جريدة اليوم عن البدء

باصلاح الطريق العام للبلدة. أخذت تلعن نفسها بينما السير يتقدم ببطء شديد، لأنها لم تتخذ الطريق الفرعية لتصل إلى بيتها. صحيح أنها أطول مسافة، إنما كانت وفرت عليها توتراً وعصبية، ولما كانت توقفت وراء شاحنة قديمة مثل هذه التي أمامها والتي يخرج منها سحب هائلة من الدخان. أرادت وببساطة شديدة أن تصل إلى البيت قبل أن يصل شارلي، لأنها ومنذ أن بدأت عملها في فندق توم، ازدادت حياتها انشغالاً، الأمر الذي جعل شارلي يعتقد بأنه لم يعد الشيء الأهم في حياتها.

وذلك ليس سببه بأنه الفتى الوحيد الذي تعلم والدته دواماً كاملاً، وليس بالتأكيد هو الفتى الوحيد الذي يحيا مع أحد الوالدين، بل من التقلبات التي نشأت بينهما منذ أن بدأت تعمل في الفندق الذي يملكه توم والذي لا يتحمله ولا بشكل من الأشكال.

لقد كانت قبل عملها في الفندق، تقوم بالطبع على الآلة الكاتبة في البيت، والتي يكلفها بعض الأشخاص بإنجاز بعض الأعمال لهم. وكانت دائماً تتواجد في البيت تنتظر عودة شارلي من المدرسة لترحب به، وذلك إذا لم يت森 لها أحصاره بنفسها، فتقدم له كوباً من الحليب مع البسكويت المفضل لديه والمصنوع في البيت، وتجلس معه بعض الوقت لتستمع إليه كيف قضى يومه في المدرسة.

كان من عادتها قبل عودة جايمس، أن تذهب إلى هيذر وتصطحبه من هناك، فتعد له احدى الوجبات السريعة، وتصفي إلى ثرثرة حول يومه في المدرسة، بينما تقوم ببعض الأعمال المنزلية المتراكمة عليها.

وكانت تحب عملها الجديد في الفندق، تحب الاستقلالية الذاتية التي منحها إليها، وقد جعلها تشعر بأنها نالت حقها من هذه الحياة، خاصة أنه أعاد إليها ثقتها بنفسها كعنصر فعال في هذا المجتمع.

تنفست الصعداء أخيراً بعد أن حل مشكلة هذا الازدحام الخانق.

وتساءلت وقد انطلقت بسيارتها، إلى أي مدى سيؤثر قطع علاقتها مع توم على العمل؟ هل يتوقع منها أن تستقيل؟ إنه من المؤكد لن يغيرها أي اهتمام وسيواصل مشاريعه العملية تاركاً إليها تصرف على هواها وتواجه مسؤولياتها بمفردها. لكن ومن ناحية أخرى، ماذا لو أن جايمس تحدث حكم المحكمة بخضانتها لشارلي وأبعدها عنه؟

لقد تبدلت وتغيرت الأيام منذ أن كان يحكم القاضي وبصورة آلية بأن الحضانة من حق الأم وحدها، وبالخصوص الآن. فجايمس رجل ثري يستطيع أن يوفر لشارلي الحياة المستقرة والمترفة، حتى أنه يمكنه في هذه الحال الزواج من جديد. ارتعش قلبها وقد وصلت بتفكيرها إلى هذا الحد، وأمسكت بمقود السيارة بشدة وكأنها تريد أن توقف جايمس عن فكرة الزواج بأمرأة أخرى. لكن لماذا فكرة زواج جايمس تزعجها إلى هذا الحد؟ هل لأنه قد يختار امرأة أصغر سنًا منها تشع نشاطاً وحيوية وتكون أكثر مرحًا منها؟ تتواجد في البيت دائمًا ولا تعمل خارجاً، وتقوم بدور الأم الحقيقة تجاه فتى قد أصبح في سن المراهقة.

تنهدت بارتياح عندما وصلت أخيراً إلى بيتها. لم تجد سيارة جايمس متوقفة هناك، فقليل من الحظ يمكنها أن

تعد طعام العشاء بسرعة، وان تهدىء من أعصابها المتوتة لتصفي إلى شارلي وهو يحدثها عن مشواره الطويل مع جايمس.

كان الفراغ والهدوء يلفان أرجاء المنزل، فاقشعر بدنها وانقبض صدرها. هذا الشعور ليس سببه تغيب شارلي عن المنزل، فهو عادة وعندما تتأخر في عملها ينتظراها عند هيزر أو عند أحد أصدقائه الكثرا، وهذا ما كان دائماً يطمئن قلبها ويطيب خاطرها. لكنها وما أن باشرت في إعداد الطعام، حتى شعرت بشيء ما جعلها تضطرب وتترعش بشدة. أنها لم تكن مستيقنة لأن تسمع وقع خطوات شارلي يقفز السلالم صعوداً ونزولاً بلهو وبمرح، إنما كانت بشوق كبير لسماع صوت جايمس الصارم والحازم ولحضوره المميز.

هل أنها حقاً تشتق إليه؟ وبعد أقل من أسبوع على عودته؟

هذا مستحيل! لكن لماذا تشتق إليه، خاصة أنه آخر شخص تتمناه أن يعيش معها. لقد دمر علاقتها بإبنها شر تدمير، لتصبح هي في واد وإبناها في واد آخر، وافقدها ثقتها بنفسها لدرجة أنه جعلها تعتقد بأن صديقتها هيزر بدأت تشک في قدراتها كأم تصلح لحضانة شارلي.

أخذت تهدىء من انفعالاتها وتكلم نفسها، انه لو بقيت على هذه الحال فقد تصاب بالجنون المحتم. وضفت ما أعدته في الفرن ونظرت إلى ساعة يدها. لقد حان موعد عودتها الآن، فلشارلي شهية جيدة وليس مثل والده يمكنه أن يفوت عليه احدى الوجبات.

الا اذا... تحصلت أعضاء وبين فجأة، ولوت تقاسيم وجهها باشمئزاز وغضب. مازا لو قرر جايمس أن يكمل يومه وشارلي خارجاً ليتناولا العشاء في أي مكان؟ لكن لا. من المؤكد انه يعلم بأنها تنتظرهما، ولقد أمضى مع شارلي يوماً كاملاً لم تتمكن هي نفسها منذ عدة اشهر أن تمضيه معه. هل من حقها بعد ذلك أن تلوم شارلي لو أنه فضل رفقه والده أكثر منها؟

أدركت وبوضوح تام أن شارلي على حق في أفضليته رفقة والده أكثر منها، كيف لا وجاييمس يمنحه كل أوقاته، بينما والدته دائماً مشغولة، وتعمل طوال الوقت... وتخرج دائماً مع توم.

اضطربت وبين من أفكارها تلك، ولمعت في رأسها فكرة أخرى. من المؤكد أن جايمس سيميل ويتعب من لعب دور الوالد الحنون، وسيبدأ بتجاهل شارلي تماماً كم فعل وهو طفل، لكن كيف ستكون ردة فعل شارلي، خاصة أنه لم يبلغ بعد سن الرشد، ولا يطلب منه أن يدرك ويفهم الأمور على حقيقتها.

عادت تنتظر إلى ساعة يدها من جديد، ودهشت عندما وجدت أنه لم يمر سوى عشر دقائق منذ أن نظرت إليها آخر مرة. عجباً كيف أن الوقت يمر بهذا البطء عندما تكون تنتظر احدهم. دخلت إلى غرفة الجلوس لتعيد ترتيبها في محاولة منها لقتل الوقت في فترة الانتظار، وهالها ما رأته عندما فتحت الباب.

كانت الغرفة مرتبة بشكل وافي. المجلات والكتب مرتبة ومنظمة في أماكنها، وقد أزيل الغبار عن السجاد والأثاث. كما أن الألعاب والأفلام الخاصة بشارلي والتي تبقى عادة

مبعثرة في كل مكان، أعيدت كلها إلى أماكنها الخاصة بها، حتى الأزهار الذابلة رفعت من المزهرية ليحل مكانها أزهار جديدة عطرة.

أخذت وين تمعن النظر في الطريقة الغير بارعة في تنسيق هذه الأزهار، الأمر الذي جعلها تتذكر تلك الليلة وبعد أن أعلنت لجايمس بأنها حامل. كانت وقتها خارج المنزل في مكان ما، ربما في زيارة والدتها، وكانت قد عادت إلى المنزل وهي تشعر بالتعب والألم في كل أنحاء جسمها. تتقاذفها الظنوں والشكوك، تحزن تارة بألم شديد إلى حياتها السابقة قبل أن تتعرف إلى جايمس، وتارة أخرى تتالم متمسنية لو يقول لها بأنه ما زال يحبها كما أحبها أول مرة وإن يقول أيضاً أنه يريد الطفل كما تريده هي.

دخلت يومها إلى هذه الغرفة بالذات تتوقع أن تراها في حالة كبيرة من الفوضى وعدم الترتيب كما تركتها قبل أن تخرج، فوجدتتها كما وجدتها الآن نظيفة ومرتبة، وفي المزهرية وضعـت أزهار جديدة كان قد اشتراها لها جايمس عندما أظهرت اعجاباً شديداً بها.

وقتها أيضاً أخذت تمعن النظر بهذه الأزهار، وقد شعرت بالجفاف الشديد في حلقاتها وبالثورة والغضب. وعندما نزل جايمس من الطابق الأعلى ودخل إلى غرفة الجلوس، نظرت إليه بداء شديد بدلاً من أن تظهر له حبها كعادتها وقالت: «آه، فهمت قصدك... تريـد أن تـشعرني بالذنب لأنـني لم أـبق فيـ البيت لأـقوم بـواجباتيـ المنـزـلـيةـ. حـسـناـ، لاـ يـهـمنـيـ ماـ تـعـقـدـ يـاـ جـاـيمـسـ. لاـ يـهـمنـيـ عـلـىـ الـاطـلاقـ، كـمـاـ وـاـنـهـ لـمـ يـعـدـ يـهـنـيـ أـمـرـكـ أـنـتـ أـيـضاـ».

و صعدت بثورة و غضب إلى الطابق الأعلى و رمت نفسها على السرير وهي ترجف من تأثير ما قالته و فعلته. و تمنت في سرها أن يلحق جايمس بها ليطيب خاطرها، لكنه لم يفعل، بل خرج من البيت و اقفل الباب وراءه بعنف شديد. كانت تستلقى على سريرها لا يعرف النوم اليها سبيلاً عندما عاد جايمس، فلم يتكلم معها ولم يعرها أي اهتمام. تنهـتـ وـينـ وـعادـتـ بـأـفـكـارـهـاـ إـلـىـ حـيـثـ هـيـ الآـنـ، وـبـخـفـةـ أـخـذـتـ تـلـمـسـ الأـزـهـارـ فـيـ المـزـهـرـيـةـ. إـنـهـ تـحـتـاجـ حـقاـ إـلـىـ

إـعادـةـ تـنـسـيقـ، فـحـمـلـتـهـاـ إـلـىـ المـطـبـخـ.

ليـسـ مـنـ سـبـبـ يـدـعـوـهـاـ لـتـسـأـلـ جـاـيمـسـ عـنـ السـبـبـ الذـيـ دـعـاهـ إـلـىـ شـرـائـهـ، فـمـنـ الـمـؤـكـدـ أـنـهـ لـمـ يـفـعـلـ ذـلـكـ اـرـضـاءـ لـهـاـ. وـعـنـدـمـاـ اـنـتـهـتـ مـنـ اـعـادـةـ تـنـسـيقـهـاـ بـشـكـلـ لـائقـ يـلـفـتـ النـظرـ، اـعـادـتـهـاـ إـلـىـ مـكـانـهـاـ فـيـ غـرـفـةـ الـجـلوـسـ، الـتـيـ مـعـ كـوـنـهـاـ اـعـادـتـهـاـ إـلـىـ مـكـانـهـاـ فـيـ غـرـفـةـ الـجـلوـسـ، الـتـيـ مـعـ كـوـنـهـاـ ضـيـقـةـ، جـمـيلـةـ وـمـرـيـحةـ، فـقـدـ أـعـادـتـ تـجـمـيلـهـاـ مـعـ شـارـلـيـ السـنـةـ الـمـاضـيـةـ، كـمـ أـنـهـ أـعـادـتـ طـلـاءـ جـدـرانـهـاـ بـلـوـنـ خـفـيفـ فـاتـحـ يـرـيحـ النـظرـ.

وـجـاءـتـ بـسـتـائرـ وـأـغـطـيـةـ جـدـيدـةـ لـلـأـثـاثـ أـيـضاـ، مـعـ أـنـهـ عـنـدـمـاـ تـزـوـجـتـ مـنـ جـاـيمـسـ، اـسـتـاءـتـ وـانـزـعـجـتـ مـنـ الـأـثـاثـ الـمـوـجـودـ حـيـنـهـ لـأـنـهـ قـدـيمـ وـمـسـتـعـملـ وـقـدـ قـدـمـهـ لـهـماـ عـائـلـهـاـ وـعـائـلـهـاـ جـاـيمـسـ. بـيـنـمـاـ كـانـتـ تـفـضـلـ هـيـ الـأـثـاثـ الـحـدـيثـ الـطـراـزـ، اـنـمـاـ الـآنـ، اـنـهـ يـسـعـدـهـاـ وـيـمـتـعـهـاـ عـنـدـمـاـ تـزـيلـ الغـبارـ عـنـ خـشـبـهـ الثـمـينـ، وـتـبـتـهـجـ نـفـسـهـاـ فـيـ روـيـتـهـ يـشـعـ نـظـافـةـ وـلـمـعـانـاـ. وـبـاتـ تـقدـرـ قـيـمـتـهـ وـجـوـدـهـ صـنـاعـتـهـ الـتـيـ تـعـودـ إـلـىـ أـيـامـ جـدـيهـاـ.

قطـبـتـ حـاجـبـيـهـاـ عـنـدـمـاـ نـظـرـتـ مـنـ النـافـذـةـ، فـلـمـ تـرـ أـيـ دـلـيلـ لـعـودـةـ جـاـيمـسـ وـشـارـلـيـ.

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة الآن، والوجبة التي أعدتها، كان قد مضى عليها فترة طويلة، فاخترجتها من الفرن ووضعتها جانباً. لقد نفذ صبرها وحل مكانه الغضب والقلق، فتوجهت بنظرها إلى الهاتف وهي لا تدري ماذا تفعل. اضطربت وارتعدت، تماماً كما يحصل مع كل شخص تأخرت عودة من هم أعزاء على قلبه، فيمتليء رأسه بالهواجس والشكوك خاصة من حوادث السير المتكررة. فلو أن شيئاً من هذا قد حدث، لكان وصلها الخبر السريع، بواسطة أحد ما... أو بواسطة الشرطة.

لماذا لم يتصل بها جايمس ليبلغها بأنه سيكمل يومه مع شارلي؟ كانت تعلم أنه لا يملك هاتفاً في السيارة كأي رجل أعمال آخر، لكن هناك هاتفاً للعموم في كل مكان، وهل يعقل أن كلاهما، شارلي وجايمس، نسيا بأنه من الواجب عليهم الاتصال بها؟

ثم أخذت وبتوتر شديد، تنتظر رنين الهاتف، لكنه بقي وبعناد شديد ساكناً. ربما عليها أن تتصل بالشرطة... ربما...

لكنها سمعت وفي لحظاتها الرهيبة هذه، هدير سيارة مقبلة. أسرعت إلى نافذة غرفة الجلوس. كم كانت سعادتها وفرحتها كبيرة عندما شاهدت سيارة جايمس تقترب لتقف وراء سيارتها الصغيرة. كانت سعادة لا توصف وكادت أن تطفر الدموع من عينيها، لكنها شعرت في نفس الوقت بالغضب يغلي في داخلها، وذلك لرؤيا طريقة شارلي الهدئة والباردة عندما خرج من السيارة وتبعه جايمس في ذلك، ومن ثم توجهها نحو البيت.

فتحت الباب قبل أن يصل إليها سألت معنفة: «أين كنتما؟»

وتلاشى غضبها مع كلمات جايمس الهدئة وهو يعتذر منها، وكأنما التأخير كان لبعض دقائق وليس لبعض ساعات. «آسف لهذا التأخير، لكننا تعرضنا لحادث مزعج على الطريق العام.»

حادث مزعج؟ أحسست بأنفاسها تلتهب وقلبتها يتآلم، فتحول ناظريها إليه ت يريد أن تنتقده بقسوة، فوجده يهز رأسه وينظر إلى شارلي نظرة ذات معنى، بينما كان هذا الأخير يحنى برأسه إلى الأرض.

ولأول مرة في حياتها، وجدت شارلي هادئاً على غير عادته. ولما نظرت إليه محدقة، وجدته شاحباً أصفر اللون. فتساءلت بهلع شديد، هل هو مريض؟ وهل كان هذا سبب تأخيرهما؟

عند ذلك، ودون أن يكلمها شارلي كلمة واحدة، أسرع بالابتعاد عنها بخطوات متغيرة. أخذ يصعد السلالم إلى الطابق الأعلى، فاحتارت بأمره بينما أخذت تنظر إليه بأسى وحزن شديدين. لكنها وعندما حاولت أن تلحق به، أوقفها جايمس وقد وضع يده على كتفها.

قال لها: «اتركيه.»

هل قال اتركيه؟ وعكست عيني وين كل ما كانت تشعر به في داخلها.

أضاف جايمس: «إنه يحتاج لبعض دقائق مع نفسه، فقد حصل حادث مروع على الطريق العام، ولسوء الحظ أن شارلي شاهد الكارثة البشرية من جراء تلك الحادثة، وسيبيه أن سيارة أمامنا كانت قد تجاوزت السرعة القانونية، وكما تعلمين ان الطريق ليست كما يجب..»

«ماذا حصل؟» سأله وين، بينما كانت ما تزال نظراتها متوجهة نحو السلالم، فعليها أن تكون مع شارلي الآن، بل أنها تريد أن تبقى إلى جانبه. أنها والدته، وهو يحتاج إليها في هذه الظروف...»

وكأنما قرأ جايمس ما كان يجول بفكرها، فقال لها بهدوء: «إنه لم يعد طفلاً، أو لنقل أنه لا يعترف بذلك. دعيه مع نفسه يفكري ويتخلص من الأمور التي تواجهه في حياته اليومية يا وين. لقد أصيب بصدمة عنيفة، لكنه أصبح في سن عليه أن يدرك فيه أن الرجال لا يبكون.»

كررت وين سؤالها بينما أخذت ترتجف باعياً شديداً: «ماذا حدث؟»

أجاب جايمس: «انزلقت هذه السيارة المسرعة نحو سيارة أخرى لتنفجر بعد ذلك وتندلع النيران بكثافة، ولم يكن بوسع أحد أن يقوم بأي شيء، فتوقفت عند حافة الطريق، ثم استعملت هاتف الطوارئ لإبلاغ المسؤولين والاسعاف... حاولنا، أعني أنا وسائقون آخرون تقديم المساعدة، لكن السنة اللهم... ليس بإمكانك أن تدرك كم تمنيت لو أن شارلي لم يكن برفقتي». وأبعد وجهه عنها بألم، فلاحظت وين بأن قسمًا من سترته قد أحرقتها النيران، وأن يده ربطت بضمادة.

قال لها ليصرفها عن النظر إلى حالته: «هذا لا شيء، فقط حرق بسيط. كان علي أن أكلمك، إنما ذلك كان مستحيلاً، لأنني اضطررت أن أبقى لأدلي بآفادتي.»

أخذ يفرك فروة رأسه، وظهر التعب والاعياء جلياً على وجهه، ثم تابع يقول: «عائلة بأكملها توفيت في احدى

السيارتين، الأم والأب وطفلان صغيران، بينما توفي في السيارة الأخرى صبيان آخران. يا للهول! لماذا يجب أن يحدث كل ذلك؟»

أجبته وين: «لقد قلت إنها كانا يقودان سيارتهما بأقصى سرعة.» على أيّة حال لا جدوى من الكلام الآن، فقد حصل ما حصل وانتهى الأمر.» كانت وين ما زالت مذهلة من الكلام الذي قاله وصورة لها، خاصة أنه وشارلي كانا قريبين جداً من هذا الخطر، فشكrt القدر على نجاتهما من هذه الكارثة.

نعم، كان كذلك. لكن هل سيساعد هذا على تهدئة خواطر عائلتهما؟ وهل تعلمين بماذا كنت أفكرون ونحن في طريق العودة؟» نفت وين بحركة من رأسها، فتابع يقول: «نظرت إلى شارلي وتصورت ما كنت قد أشعر به لو أن أحدهم دق ببابي ليقول لي بأن ابنك قتل في حادث سيارة... مات بهذه الطريقة البشعة وأنا والده، الذي شجعه ووافقه على ما يريد. كيف تصل الأمور أحياناً مع المرء إلى هذا الشكل؟» لم تستطع وين التفوه بكلمة واحدة، فالألم في نبرة صوتها أربعها وعقد لسانها.

ثم قال بقرف: «أريد أن استحم، فدخان الحرير يملأ انفي.»

لكن وين فهمت أنه لم يقصد بكلامه بأنه يريد أن يزيل رائحة الدخان، بل رائحة الموت.

فقالت بصوت مخنوق: «ولكن شارلي. هل يجب أن...» قاطعها جايمس بسرعة وقال: «اتركيه هذه الليلة. دعيه يخبرك بالذى حدث متى كان مستعداً لذلك.»

ولاحظت بعد أن تركها ليصعد إلى الطابق الأعلى، أنها ولأول مرة تستشيره وتطلب رأيه، كأنما تسؤاله أن يتقاسما المسؤولية تجاه ابنهما. وليس هذا فقط، إنها تشعر بحاجة ماسة إلى نصيحته.

ارتجلت قليلاً وشبكت ذراعيها وهي تحاول ببأس الأَ
تضيع نفسها مكان الأشخاص الذين عرفوا بالمؤسسة الالمية،
وسرق الموت اعز الناس على قلوبهم.

مرَّ بعض الوقت قبل أن يعود جايمس إلى الطابق الأسفل ومن ثم توجه إلى المطبخ، حيث وجدها تقف جامدة في مكانها تحدق في اللا شيء، تفكك بسنوات شارلي منذ ولادته، وتتصور الحالة التي ستكون عليها لو أنها سمعت هذه الليلة بوفاته.

قال جايمس: «شارلي في سريره الآن، وما زال يعاني من تلك الصدمة. كم تمنيت لو أن شارلي لم يكن برفقتي. أعلم أنني لن أتمكن من نسيان ما حدث.»

أردفت وين لا شعورياً: «الأولاد ينسون بسرعة، وشارلي ما يزال فتى يافعاً. لا أعتقد أنهم يتصورون الأمور كما نتصورها نحن.»

«تعنين أن شارلي لن يستيقن من نومه هذه الليلة، ليفكر كيف يمكن أن يشعر لو حدث مثل هذا الشيء لابنه، أو لزوجته في المستقبل؟ ربما لا، لكنني ما زلت أتمنى لو أنه لم يشاهد كل ذلك، لو أنني لم أدعه يقنعني بتلك النزهة الأخيرة...»

«الذنب ليس ذنبك..»

ما الذي تفعله؟ سألت وين نفسها بدهشة، لماذا تؤكّد له

أن الذنب ليس ذنبه وتحاول أن تريده من عذابه؟ لماذا لا تواجهه كما واجهها في مناسبات عدة؟ لماذا لا تتركه يشعر ما معنى أن يكون الوالد مذنباً تجاه ابنه؟ لكنها كانت تدرك أنه لا يمكنها أن تغير هذه المأساة وتحولها حسبما تقتضيه مصلحتها، حتى لو أن مصلحتها في أن تفوز بشارلي.

لاحظت أن جايمس ينظر إليها نظرات طويلة ذات معنى، فتدفق الدم حاراً في عروقها لسبب تجاهله.

قال بلهف: «شكراً. يدهشني إنك ما زلت على ما كنت عليه.» لكن الدهشة لم تكن بادية عليه، بل الاكتئاب الشديد. وأردف بعد ذلك قائلاً: «لقد كان يوماً طويلاً وشاقاً، سأذهب للنوم باكراً.»

الفصل الثامن

استيقظت وين من نومها مذعورة على صرخ شارلي متعرّة بخطواتها إلى غرفته. فتحت الباب وهي في حالة شديدة من القلق والخوف على ولدتها، وأسرعت تجلس إلى جانبها، وقد تذكرت حادثة مماثلة حدثت لها عندما كان أصغر سنا.

عندما دخلت الغرفة وجدته غارقاً في نوم عميق. ولكنها عندما لامست جبينه بحنان ورقه، أفاق من نومه ونظر إليها نظرات ثابتة. كانت الدموع تملأ عينيه، ولم يكن في وسعها إلا أن تضمه إلى صدرها وتشعره بالأمان من الكوابيس والمخاوف التي تملأ رأسه.

ثم أخذ بكلمات متقطعة يروي لها وقائع ذلك الحادث المشؤوم، فضmetه أكثر إلى صدرها. إنها ومنذ فترة طويلة لم تضمه إليها بهذا الشكل، وقد أذعنـت وأجبرـت نفسها على احترام طلبه في الابتعاد عنها. ولكنها الآن، صدمـت وقد أدركت كم تغير جسده، فصار أقرب إلى الخشونة من النعومة والطراوة التي كان يتمتع بها عندما كان طفلاً، فشعرت بوخذ في قلبها، لتدرك كم وبأية سرعة كان ينمو ويكبر ثم يبتعد عنها بعد ذلك. الآن، وهذه الليلة بالذات، يبدو عليه أنه يحتاج إليها، مع أنها كانت تشعر بأنه يكافح ويكافـد كـي يهدـى من نفسه دون مساعدتها. وعندما بدأ يتحرك ليبتعد عنها، سمحـت له بذلك.

فعل ذلك بغريرة الرجولة التي تكمن في ذاته وليس من

أجل سبب آخر. ومما لا شك فيه، انه يشعر بالحرج والغصب من نفسه لاستسلامه لعواطفه، ما جعلها تقول بهدوء وكأن ما حدث لم يكن بالشيء المهم: «لقد أخبرني والدك كم كان فخوراً بك يا شارلي، وبالطريقة التي تصرفت بها».

وفوجئت بمن يقول من خلفها: «نعم يا شارلي. كنت كذلك». بفتت وين والتفت إلى الوراء، لتجد جايمس في الغرفة. ولكن متى دخل عليهما؟ وتمكنت من رؤية وجهه بواسطة الضوء المنبعث من الشارع إلى الغرفة، فعادت ذكرياتها معه تتلاحم في رأسها بسرعة البرق وتتذكر كيف كانت تهرع إليه كلما عاد من عمله لتعبر له عن مدى استياقها إليه.

وكان هو بالمقابل يهمس في أذنها أذب الكلمات وأصافاها ويسألاها كيف أمضت يومها وهو بعيد عنها، وكالطفلة الصغيرة كانت تخبره بكل شاردة وواردة. ولكنها ومع ذلك لم تكف لحظة واحدة عن التفكير به، فييتسم لها ابتسamas عذبة وحنونة تنفذ إلى أعماقها.

دهشت من نفسها ومن أناينيتها لأنها سمحـت لنفسها بالتفكير بكل ذلك، بينما ابنها الوحيد يعيش فترة صعبة من الألم والعذاب. وسمعت جايمـس يتكلـم، لكن كلامـه كان موجـهاً إلى شارـلي وليس إليها.

تقدم جـايمـس وجلس قـرب شـارـلي قائلاً: «كـنت فـخـورـاً بـكـ هذه اللـيـلـة يا شـارـلي، ولكـنـني في هـذـه اللـيـلـة أـكـثـر فـخـرـاً بـكـ». نـظر شـارـلي إـلـيـه وـفـي نـفـسـه حاجـة مـلـحة لأن يـخـفي دـمـوعـهـ التي هـمـت بالتساقـط على خـديـهـ.

وتـابـع جـاـيمـس كـلامـه قـائـلاً: «ويـصـعب عـلـيـ الرـجـل ان يـعـرـف بـأنـ هـنـاكـ ثـمـةـ أـمـورـ فيـ هـذـهـ الـحـيـاةـ مـؤـلـمةـ قدـ تـدـفعـهـ

إلى البكاء. ففي هذه الأحوال يفزن النساء علينا يا شارلي. إنهن لسن ضعيفات ويخفن من اظهار عواطفهن، ومن الخطأ أحياناً ألا نقر ونظهر ما نشعر به.»
ناقض شارلي كلام والده قائلاً: «الرجال لا يبكون..»
ساد صمت بسيط في الغرفة، قال جايمس بعد ذلك:
«ولتكن بكية.»

أمسكت وين أنفاسها بينما كان شارلي ينظر إلى والده مستفهمًا. وأدركت بأن شارلي مثلها كان يعلم بأن جايمس ينطق بالحقيقة.

«لا تخش من عواطفك ولا تخبيها أبداً يا شارلي..»
شاهدت وين الدموع تترقرق في عينيها. كيف حضن جايمس ابنه بمحبة وشوق، وكيف تردد شارلي في البداية، ولكنه عاد واستسلم بعد ذلك لحنان والده وعاطفته الجياشة.
خرجت وين بهدوء من الغرفة وأغلقت الباب وراءها، ثم
اسندت بجسدها إلى أحد الجدران، وهي لا تصدق ما شاهدته عينها منذ لحظات قليلة.

هذا ما كانت تتوقع وتشتاق إليه منذ سنوات عديدة. يوم كانت حاملاً بشارلي، ويوم ولادته، بأن يحبه جايمس ويظهر له كل الرعاية والاهتمام، ولكن الآن وبما انه...
سمعت بالباب يفتح وشعرت بجايمس يقف وراءها تماماً، فالتفتت إليه لترى عينيه تشعلن ببريق غريب. أغلق باب غرفة شارلي ونظر في عينيها قائلاً: «لا استغرب الآن كيف أن صاحب الفندق معجب بك إلى هذه الدرجة. فهل الأمور معكما تحدث مثلاً كانت عليه في سنوات زواجنا الأولى يا وين؟»

فاجأها جايمس بسؤاله هذا. فاحتارت في أمرها لبرهة، ولكنها عادت وتمالكت أعصابها لتقول له بصوت مرتجف: «لا يحق لك أبداً أن تطرح علي مثل هذا السؤال. وللمعلومات الخاصة، ما يربطني بتوم، اسمى وانبل مما تذكر به.»

ارتبتكت ودهشت من نفسها. ما الذي كانت تحاول أن تثبته؟ خاصة أنه لم يعد هناك شيء يربطها بتوم.
قال لها: «إذاً، فأنا أرى بأن الأمور ليست على ما يرام كما تخيل لي..»

كلماته الهدئة جعلت فرائصها ترتجم، وكأنها تلومها وتعنفها لأنها ارتبتكت وكذبت عليه، فشعرت بالخطر الجسيم الذي أوقعت نفسها فيه، خاصة بعد أن لمست الغرور بنبرة صوت جايمس.

أضاف قائلاً: «عندما التقى بك، كنت ما زلت فتاة صغيرة... لا بل طفلة.»

وصمت قليلاً ليضيف بعد ذلك بنبرة أكثر لطفاً: «في كل الأحوال، من المعروف أن المرأة لا تكتمل ولا تنضج قبل بلوغها سن الثلاثين.»

شعرت بأحساس مختلف من الشوق والحنين إليه، ولكنها وكل مرة عنفت نفسها وتراجعت عن ذلك، لتقول بتساؤل: «لقد تعلمت من أخطائي السابقة يا جايمس. فالذي تلمح به، لم يعد من الأمور التي تهمني في هذه الدنيا.»
كرر قولها متسائلاً: «لا؟»

اجتاحتها موجة عارمة من الشوق والحنين بعد أن تقوه متسائلاً بكلمه الأخيرة. وفي لحظة ضعف عاصفة، وجدت

نفسها تلقي برأسها على كتفه. كان هناك صراع في داخلها يتجازبها. عقلها الذي يحاول أن ينصحها ويشتتها عن التجاوب معه، وقلبها الذي يطلب منها، بل يتضرع إليها أن لا تفترق عنه.

وهمس في أذنها وهي في هذه الحالة المتأرجحة: «هل ترتاحين على كتفه على هذا النحو يا وين؟» فعصفت بها الذكريات من جديد، وتذكرت كم هي بحاجة إليه وترىده أكثر من أي رجل آخر. وتساءلت كيف يحصل لها كل ذلك وهي التي كانت تعتقد بأنها رمت بمشاعرها نحوه عرض الحائط ولم تعد تجد فيه فارس أحلامها.

هتف في داخلها نداء يلح ويطلب منها أن تبعد نفسها عنه، لكن حواسها كلها رفضت أن تذعن إلى ذلك الهاتف، بل طلبت منها بـ«ألا تنفصل عنه».

عادة، ولا يمكن الجزم في ذلك، لا تنس المرأة الحب الأول في حياتها، وهذا ما هو حاصل مع وين. حاولت وهي تشعر بدور شديد في رأسها أن تقول له وتذكره بأنهما لم يعودا حبيبين، بل عدوين.

لكنها كلما حاولت أن تتفوه بهذه الكلمات، كانت تجد نفسها عاجزة عن ذلك وتكلفي بأن تهتف بإسمه برقة وعدوبة بدلاً عن ذلك.

وعاد الحنين إليها يعصف بقلبها بألم، ثم أخذ ينطق باسمها على نحو متقطع: «وين... وين...»

كان بإمكانها أن تسمع نبضات قلبه فكأنه يحاول أن يوصل إليها رسالة ما. حاولت جاهدة أن تذكر نفسها بالأسباب التي تمنعها عن مجاراته، وبأنه عليها مقاومته

وأيقافه عند حده. يجب ألا يحدث ذلك. يجب ألا تكون معه. انه عمل خاطئ وخطر، لأنه سيؤذيها مرة أخرى وبالطريقة التي أذاها بها سابقاً.

أخذت هذه التنبيهات تدور في رأس وين كالقطع الذي يتردد في كل أغنية، لكن قلبها أبى أن يصغي إلى نداءات عقلها. وبجزع شديد، حجبها عنها منذ سنوات طويلة. أنها ما زالت تحبه.

هذه المعلومة كانت بمثابة ريح باردة على صدرها. لقد أضعفت ارادتها القوية وقدرتها على حسم الموقف، بينما كان يتتابع يهمس الكلمات الرقيقة والعذبة في أذنها. أنها نفس الكلمات التي كان يهمس لها على مسامعها منذ زمن بعيد، يتغنى بجمالها وجاذبيتها، وذلك طبعاً قبل ولادة شارلي.

قال جايمس أخيراً: «والآن، قولي لي بأنك ستتزوجين من رجل آخر، وأنك ستمنحين ابني أباً آخر. انت تعلمين يا وين، بأن شارلي لا يريد أن يشارك صاحب الفندق حياتهليس كذلك؟»

شعرت فجأة بأنها باردة كالثلج، وكلمات جايمس تقع كالصاعقة فوق رأسها.

إذاً جايمس لم يتقرب منها لأنه كان يريد لها هي فحسب، فقد استطاع أن يخدعها، ولغيابها الشديد صدقته. ولم يتصرف برقة معها مدعوماً بعاطفته المتالمة للحادث المسؤول الذي رأه شارلي والصدمة التي تلقاها منها، لقد فعل ذلك فقط ليضعفها ويدلها. وتساءلت، وخاصة بعد ما حدث لها الآن مع جايمس، هل

ما زالت تريد الزواج من توم؟ فابتعدت عنه قليلاً تحاول أن تنسى رقتها معها. وأحسست بحاجة ماسة إلى البكاء والتحبيب، لكن كرامتها منعتها عن ذلك. أنها لم تعد طفلة بعد الآن لتغلق باب غرفتها ولتستسلم للبكاء لأنها اكتشفت بأنه لم يعد يحبها.

ثم قالت وهي ترتجف بشدة: «أعرف ماذا تنوي فعله يا جايمس، لكنني أقول لك بأنك تخسيع وقتك.» حاول أن يستوقفها، ولكنه تمنع فجأة عن ذلك، وبدا وجهه شاحباً وقد اختفى عنه لونه الطبيعي كأنه تأثر من صدمة أو من ألم ما.

وعندما شاهدت وبين شحوب وجهه، أصرت أن ماتراه ليس سوى أوهام، فابتعدت عنه بخطوات متغيرة والتفتت إليه بعد ذلك فجأة. وهي تقول: «أعرف تماماً ما السبب الذي دعاك لتعود إلى هنا، والذي تأمل في أن تتحقق، ولكنك لن تنجح.» «وماذا بعد ما حصل الآن؟» سألهما جايمس باضطراب وانزعاج لم تعرهما أي اهتمام.

أجبت: «اعتبر أنه لم يحصل شيء بيننا.» وتوقعت منه أن يهزأ ويُسخر منها وأن يغيرها بضعفها أمامه، لكنها ارتاحت وهدأت نفسها عندما لازم الصمت وهو ينظر إليها بثبات.

الفصل التاسع

«أعيد عليك السؤال، ماذا بعد ما حصل الآن؟»
«وكانها لم تدخل التاريخ!»

تفوهت وبين بهذه الكلمات وكأنها تقرع بنفسها ناقوس الخطر. ولكن ناقوس الخطر! لماذا؟ للحب الذي لم يكن له وجود من الأساس! وذلك بالطبع من جانب جايمس وليس من جانبها. شعرت بتثاقل أ Gefانها وتشويش كامل يملأ رأسها، وبانحطاط شديد في جسدها، بينما اخذت تحاول الاستسلام للنوم ولكن دون جدوى.

ايقطلت بعد ذلك شارلي من النوم، واحتارت فيما لو ترسله إلى المدرسة أم لا، خاصة بعدما شاهدت الشحوب على وجهه، ثم نزلت إلى الطابق الأسفل لتحضر فطور الصباح. شعرت بجايمس يتبعها إلى المطبخ، ولكنها لم تلتفت نحوه، متعمدة ان تتجاهله وان تتجاهل ذلك الشعور الخفي، والمهم الذي يجذبها إليه. لكن جهودها ضاعت سدى، لأنه لم يكن من السهل عليها ان تتجاهل الألم الحاد الصادر عن قلبها والذي لم ولن يتعلق بأحد سواه.

تساءلت كيف احبته طيلة تلك السنوات دون ان تشعر وتعرف بأنه لا يحبها بالمقابل؟ لقد امضت الليل بطوله تطرح على نفسها هذا السؤال دون ان تجد جواباً له، وتحاول ان تقنع نفسها انه وبسبب سوء تربيتها، وجدهه فارس احلامها المنتظر فأحبته بجنون وطيش، لكنها الآن وبعد ان بلغت

سن الرشد، ادركتكم كانت مخطئة في تصورها للحقيقة. تمنت لو ان جايمس لم يقرر العودة إلى حياتها مع شارلي والتدخل فيها، فقد أوصلها إلى حالة الانزعاج والتوتر لا تجد مخرجاً لها.

بداشارلي، حول مائدة الفطور، أكثر هدوءاً ولطفاً، وعندما كان يتكلم، كان يوجه كلامه إلى وين وليس إلى جايمس. ولم تدرك وين في البدايةقصد من وراء ذلك، الا عندما سألاها اذا كانت هي من سيأخذها إلى المدرسة. فنظرت إليه باهتمام بالغ، حائرة حتى في ان تشعر بالانتصار على جايمس ام لا، لأنه من وراء طلبه ذلك كان يريدها هي وليس جايمس.

بعد شارلي عنده صحن الفطور وكان لم يتناول منه شيئاً وقال: «هل يمكننا الذهاب الآن؟ اريد ان اذهب إلى المدرسة سيراً على الأقدام.»

سيراً على الأقدام؟ كادت وين ان تتقوه بهذه الكلمات، ومنعت نفسها من ان تذكره كمن ينزعج وينفر من الذهاب إلى المدرسة سيراً على الأقدام.

كان بامكانها ان تشعر بجايمس يراقبهما معاً، وكأنه فهم بأنها تواجه بحيرة وضعياً لا يمكنها التخلص منه أو النقاش فيه. وتساءلت، هل يتوجب عليها ان تصر على اصطحاب شارلي إلى مدرسته بالسيارة، أو هل ان تصرفها هذا قد يزيد من الأمور سوءاً وتعقيداً؟ انها تفهم وضعه وكم انه من المؤلم ان يشاهد المرء حادثاً مروعاً كالذى شاهده، لكن كيف ينبغي لها ان تتصرف مع ردة فعله تلك؟ هل تتصرف معه ببساطة وكأنه ليس من شيء غير اعتيادي في الذهاب إلى المدرسة سيراً على الأقدام وبرفقتها هي؟ أم هل تحاول

التحدث معه في سبب رفضه ومعارضته في استعمال السيارة لهذه الغاية؟

«نعم، نعم، بالطبع يمكننا ان نمشي.» أكدت له اخيراً بهدوء، بينما كانت تشعر بمتابعة جايمس في مراقبتها. نظرت إلى جايمس لا شعورياً، ثم تمنت لو انها لم تفعل ذلك، فقد وجدته ينظر إليها مقطب الجبين، وكأنه لم تعجبه طريقتها في معالجة هذا الأمر.

ثم سمعت جايمس يقول بهدوء: «والدتك لم تنته بعد من شرب القهوة، يا شارلي. لماذا لا نذهب...»

قاطعه شارلي قائلاً: «لا. اريد ان تأخذني أمي.» ذعرت وين عندما رأت شفتا شارلي ترتجفان بألم. فاسرعت تقول: «هذا لا يهم، فانا لا ارغب بال المزيد من القهوة. هيا يا شارلي إلى الطابق الأعلى لتنظف اسنانك بينما احضر معطفى.»

لأول مرة ومنذ عودة جايمس، يشعر شارلي بالارتياح لابتعاده عنه. ولم تندesh وين بعد خروج شارلي من المطبخ عندما اقفل الباب جايمس وقال لها: «انك لا تساعدينه ولا بشكل من الاشكال عندما تطعيه هكذا، كما وانك تعرفين ذلك جيداً. فهذا لن يسهل عليه نسيان ما شاهده..»

«وماذا يفترض بي ان افعل غير ذلك؟ تريدينني ان اجبره على دخول السيارة؟» اجابت وين وهي ترتجف منفعة، ذلك لأنها كانت تعلم انه على حق فيما يقول، ولكن قلبها لا يطاوّعها في ان ترفض له هذا الطلب.

«انك تشجعينه على التعلق بك وعلى الاتصال عليك اكثراً. كما تشجعينه على ان يعتقد ان النساء وجدت لارضاء

ولتنفيذ حاجات الآخرين من حولهن. كان بامكانك على الأقل ان تجبريه على انتظارك لتنتهي من شرب القهوة. انه تعرفين بانك لا تساعدينه يا وين... ومن المؤكد ان ذلك سينعكس على المرأة التي قد تشاركه حياته في يوم من الأيام، أو هل تعتقدين بانك لن تدعني بذلك يحدث؟» الاتهام الصريح والواضح جاء غير عادل وغير منصف. لقد خنق انفاسها في صدرها.

اجابت بعاطفة بالغة: «انك تشعر بالغيرة والحسد. هذا كل ما في الأمر.»

كان فعلاً يشعر بالغيرة والحسد منها، وقد ادركت ذلك من تغير لون وجهه، حتى انه اعترف بذلك فقال بقسوة مريرة: «نعم، انتي كذلك. ولكن غيرتي وحسدي ليست سوى نصف ما يحمله صاحب الفندق صديقك. ولا اعجب الآن لماذا ينفر ويتضايق من شارلي.»

ثم اسرع يخرج من المطبخ كالريح العاصف، في الوقت الذي دخله شارلي، وعندما شاهدت امتناع وجهه واضطرابه الشديد، نسيت بسرعة حيرتها من الكلام الذي تفوه به جايمس قبل قليل.

تأخرت عن الوصول إلى عملها بسبب مرافقة شارلي إلى المدرسة، فبعد ان فعلت ذلك، اسرعت إلى المنزل لتأخذ علقة مفاتيحها وحقبيتها، ثم استقلت سيارتها للتوجه إلى الفندق.

كانت بداية اسبوع جديد صعبة عليها مع شارلي. انه يطمع بالكثير وأصبح متطلباً بشكل مستمر، اما جايمس فبات أكثر انزعاجاً وانطواءً على نفسه.

اطلعت وين صديقتها هيزر بكل جديد حدث معها عندما ذهبا إلى النادي الرياضي، وبأنها كانت لا تدرى فيما لو تبقى هذا المساء في البيت أو توافيها إلى النادي كعادتهم كل مساء اثنين.

ونظرت إلى صديقتها بألم وأسى وهي تقول: «وكاد ان يصيب شارلي نوبة من الغضب والانفعال الشديدين عندما علم بأنني سأخرج هذه الليلة. لا ادرى ما هو الافضل لاقوم به يا هيزر.»

سألتها هيزر: «وما الذي يعتقد جايمس؟»

تساءلت وين بارتباك: «جايمس؟»

«حسناً. أليس هو والد شارلي، ولقد قلت بنفسك بأن شارلي يحبه ويعجب به كثيراً.»
«نعم، انه يعتقد بأنه من الأفضل علي ان ابتعد عنه قليلاً واتركه يعالج اموره بنفسه، كما ان لا ادعه يتعلق بي هذا التعلق.»

«اتعني ان لا تدعوه يسيطر على حياتك ويتحكم بها؟»
سألتها هيزر بقسوة نوعاً ما، بينما كانت تبتسم استياً.
نظرت وين اليها فجأة وكأنها لم تتوقع منها ان تطرح عليها مثل هذا السؤال.

تابعت هيزر: «آه، هيا يا وين. انا نعرف ببعضنا البعض منذ زمن بعيد، كما ان الثقة متبادلة بيننا أليس كذلك؟ اعرفكم ان شارلي يطمع بك، وهذا امر لا يصعب فهمه، لكنه فتى يتمتع بالارادة القوية وغير معتمد على وجود شخص آخر في حياته سواك. اعتقاد انه لا يعجبه من احد آخر ان يشاركه اياك. وهذا الحادث المرهون الذي عاش ظروفه الصعبة لحظة

بلحظة، سبب له خوفاً من ان يفقدك انت بالذات، لذا ترينه يتمسك بك بكل قواه، ويرفض اي دخيل في حياتكما معاً.» اعترضت وين فوراً: «لكنه لن يشاركني معه احد، مع انتي كنت اعلم في وقت من الاوقات بانني وتوم... لكن...» سألتها هيزر بلطف: «من جاء على ذكر توم؟» اخذت وين تتحقق في وجه صديقتها مستفهما، ثم تغير لون وجهها عندما تابعت هيزر تقول: «نعم، كنت اقصد جايمس بكلامي. واعتقد الان، انه بدأ يتضايق من وجود ابيه بينكما، وبدأ يخف حماسه له، كما بدأ يدرك ان جايمس لن يكون لطيفاً ووديعاً معه كما انت، وبأنه لن يهون عليه ابداً ان يبعد والده عن حياتك كما فعل مع توم.» اجابت وين بجفاف: «ان يبعده عن حياتي؟ ولكنه ليس له مكان في حياتي..»

اشارت لها هيزر مصممة: «أليس يعيش معك في الوقت الحاضر؟ انك ما زلت تحببته، كما وانك لم تتوقف عن حبه ابداً، أليس كذلك؟»

اجفلت وين من تصريح هيزر الأخير وسألتها: «هل هذا ما ترينه بوضوح؟»

اجابت هيزر: «ليس تماماً، اعتبريه تخمين. لكنني لا استطيع ان الومك او اعتب عليك، خاصة وانك عدت ورأيته بعد تلك السنين.» توقفت هيزر عن الكلام لتنظر إلى وين نظرة ذات معنى ثم غمزت بعينها وتابعت تقول: «لا شك انه متائق الجمال..»

ضحكـت وـينـ، بينما كان قلـبـها يـئـنـ ويـتـأـلمـ... وـذـلـكـ ليس لأنـ صـدـيقـتهاـ اـدرـكـتـ بالـذـيـ ماـزـالـتـ تـشـعـرـ بهـ منـ نـاحـيـةـ

جايمـسـ،ـ لكنـ بـسـبـبـ ماـ قـالـتـهـ لـهـاـ بـخـصـوصـ شـارـليـ.ـ انـهـ تـعـرـفـ صـدـيقـتهاـ هـيـزـرـ جـيدـاـ وـتـقـدـرـ رـأـيـهاـ كـلـ التـقـدـيرـ،ـ وـتـعـلـمـ اـيـضاـ بـأـنـهـ اـبـعـدـ مـنـ انـ تـكـوـنـ غـيرـ مـنـصـفـةـ اوـ قـاسـيـةـ فـيـ حـكـمـهاـ.ـ لـكـنـ لـنـ فـتـرـضـ انـ مـاـ قـالـتـهـ عـنـ حـالـةـ شـارـليـ حـقـيـقـيـ،ـ اـذـاـ،ـ وـفـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ،ـ وـلـأـجـلـ شـارـليـ،ـ يـتـوجـبـ عـلـيـهـاـ اـنـ تـجـدـ طـرـيـقـةـ لـبـقـةـ تـسـاعـدـهـ بـهـاـ لـيـقـبـلـ وـلـيـفـهـمـ بـأـنـهـ هـنـاكـ دـائـمـاـ مـكـانـاـ وـمـحـبـةـ لـلـآـخـرـينـ فـيـ حـيـاتـهـمـاـ،ـ وـلـكـنـ كـيـفـ؟ـ

ارتـعـشـتـ قـلـيلـاـ لـلـفـكـرـةـ التـيـ طـرـأـتـ فـيـ رـأـسـهـاـ،ـ جـاـيمـسـ وـحـدـهـ دـوـنـ سـوـاهـ يـعـرـفـ كـيـفـ يـعـالـجـ مـثـلـ هـذـاـ الـوـضـعـ،ـ وـبـمـاـ انـ جـاـيمـسـ يـمـاثـلـهـ فـيـ الـجـنـسـ وـالـأـقـرـبـ إـلـيـهـ بـيـنـ الـذـكـورـ الـذـينـ يـعـرـفـهـمـ،ـ فـهـوـ الـمـؤـهـلـ الـوـحـيدـ لـهـذـهـ الـمـهـمـةـ الـدـقـيـقـةـ اـكـثـرـ مـنـهـاـ هـيـ.

لـكـنـ مـاـذـاـ لـوـ حـاـولـتـ اـنـ تـلـقـيـ بـهـذـهـ الـمـهـمـةـ عـلـىـ عـاتـقـ جـاـيمـسـ،ـ أـلـنـ يـدـيرـ لـهـاـ ظـهـرـهـ وـيـقـوـلـ لـهـاـ:ـ «ـالـمـ اـقـلـ لـكـ ذـلـكـ؟ـ»ـ الـمـ يـكـنـ يـحـاـولـ وـبـشـتـىـ الـطـرـقـ اـنـ يـسـتـغـلـ ضـعـفـهـاـ وـقـهـرـهـاـ لـيـفـوزـ بـالـخـطـةـ التـيـ رـسـمـهـاـ لـيـأـخـذـ شـارـليـ مـنـهـاـ؟ـ

كـانـتـ تـعـلـمـ بـأـنـ يـمـكـنـهـاـ،ـ لـوـ كـانـتـ تـرـغـبـ بـذـلـكـ حـقاـ،ـ انـ تـسـتـمـيلـ شـارـليـ الـيـهـاـ فـيـ ظـرـوفـهـ الصـعـبـةـ التـيـ يـتـخـبـطـ فـيـهـاـ الـآنـ وـتـخـرـجـهـ نـهـائـيـاـ مـنـ حـيـاةـ وـالـدـهـ.ـ لـكـنـهـاـ كـانـتـ تـعـلـمـ لـوـ اـنـهـاـ فـعـلـتـ ذـلـكـ،ـ سـتـحـطـمـ نـفـسـيـةـ شـارـليـ شـرـ تـحـطـيمـ،ـ وـبـذـلـكـ تـتـوـقـفـ خـطـوـاتـهـ التـيـ بـدـأـ يـخـطـوـهـاـ نـحـوـ النـضـجـ وـالـبـلوـغـ.ـ فـشـارـليـ يـحـتـاجـ لـجـاـيمـسـ كـوـنـهـ وـالـدـهـ.

اخـيرـاـ اـعـتـرـفـتـ وـاقـرـتـ بـذـلـكـ.

لـكـنـ شـارـليـ بـحـاجـةـ الـيـهـاـ هـيـ الـأـخـرـىـ،ـ وـهـذـاـ يـعـنـيـ انـ الـأـمـرـ يـتـعـلـقـ بـهـاـ وـبـجـاـيمـسـ،ـ فـيـ اـنـ يـجـدـ اـطـرـيـقـةـ تـجـعـلـ شـارـليـ

يرحب بهما هما الاثنان، والأهم من ذلك، ان يتأكدا بأنه سوف لا يعاني من العداء الذي كان بينهما، أو اذا صاح التعبير بسبب عداء جايمس لها، لكن الذي كانت تشعر به تجاهه لا يمكن وصفه بالعداء ابداً، كما اشارت اليها هيذر.

هذا لا يعني انها كانت بحاجة لهيذر لتقول لها بما كانت تشعر به تجاه جايمس. فقد عرفت ذلك في اللحظة التي جمعتهما معاً وكان رقيقاً حنوناً معها. مع انها كانت تعرف ايضاً بأنها لم تتوقف عن حبه لحظة واحدة حتى بعد ما ظهر منه من جفاء عند ولادة شارلي وحتى بعد ما لاحظت بأنه لم يعد صادقاً معها. وحتى أيضاً وأيضاً بعد طلاقهما مهما كانت تحاول ان تبعده من قلبها وروحها.

ولأنها لم تستطع ان تنزع ذلك الحب الكبير وتبعده عنها، دفنته في اعمق صدرها واخفته عن الجميع، لتبدأ بعد ذلك باقناع نفسها بأنه لم يعدل له اي وجود.

ارتজفت وقد وصلت بافكارها إلى هذا الحد، وقالت لنفسها، لو أنها لم تحب جايمس، لما كانت حظيت بشارلي. أخذت تفرك صدغها تحاول ابعاد الألم عن رأسها وتساءلت، لماذا على الحياة ان تكون على هذه الصورة من التعقيد والألم.

الفصل العاشر

صحيح ان وين اقرت بنفسها انها بحاجة إلى نصيحة ومساعدة جايمس، لكن من اين ستجد الشجاعة لتخوض معه في مثل هذا الموضوع الدقيق والحساس، وأيضاً الفرصة الملائمة لذلك.

وذلك لأنها ترى جايمس هذه الأيام بعيداً جداً وبعزلة عن المشاكل التي تخبط بها بمفردها. انه يبتعد عنها ويتجاهلها كأنه يريد ان يتأكداً انها لم تفكر به بالسوء بعد تصرفه الرقيق معها في تلك الأمسية. فأخذت ترتعش وقد تذكرت ذلك، ترتعش بحرقة والم وشوق لا يوصف اليه. لقد شعرت أمامه بالضعف الشديد والانصياع لأوامره. وكانت تعلم حق العلم، لو أنها ضغطت على مشاعرها ورممت بها عرض الحائط، لما كانت سمحت لها كرامتها وعنفوانها ان تدعوه يقترب منها. ولكن هناك شارلي، واحتياجاته، فمستقبل شارلي اهم بكثير من تلك الكرامة التي تتمسك بها، خاصة وان شارلي كان السبب الرئيسي الذي دفع بجايمس ليعود ويستقر نهائياً معهما.

كما أنها لا تشک ابداً بأن جايمس لن يدير ظهره إلى ابنه ويتركه يعاني ما يعانيه من الصدمة والخوف بعد ذلك الحادث المؤلم الذي شهد كل وقائعه... ولا تشک أيضاً من محبته له ومدى اهتمامه به. كيف لا وهو من صلبه ولحمه ودمه. لا، لا. فمن غير الممكن ان يقف جايمس وقفه المتفرج الغريب امام ولده الوحيد.

اضطربت وين للحالة التعيسة التي وصل اليها شارلي حتى بات يتصرف بجفاء ووحشية. انها تشعر بالعجز وكأنها مكبلة بالحديد، غير قادرة ان تدخل إلى اعمق شارلي وتفهمه بأن ما يقوم به عمل خاطئ وغير عادل في الوقت نفسه.

ان الطريقة الشاذة والقاسية التي بدأ يعاملها بها، قد تحولت الآن نحو جايمس. فقد كان في السابق يتمسك ويقبل كل كلمة أو رأي يبديه والده، فاصبح الآن يتتجاهله ويتجاهل وجوده كلياً. حتى انه اصبح يمنعه ويتدخل مثين، ان يدعها وحدها مع جايمس، وهذا ما جعل وين تتذكر اكثر تحذيرات صديقتها هيزر لها.

وجايمس... جايمس الذي كان في يوم من الأيام عديم الصبر والعاطفة لبكاء ونحيب طفله الصغير، ادهشها حلمه وصبره اليوم لعداوة وجفاء شارلي، لا بل يبدو عليه انه اقوى صبراً واحتمالاً مما هي عليه لتصرفات شارلي الغريبة.

لقد حاولت ان تتكلم مع شارلي لعدة مرات بخصوص الحادث وبخصوص تصرفاته، ولكن تجاوبه مع محاولاتها كانت سلبية، وباءت بالفشل، مما اجبرها على عدم عودتها إلى محاولاتها ثانية.

عندما اتصلت بها هيزر هاتفياً لطمئن عنها ولتعرف إلى اين آلت بها الأمور، رشت لحالها وأخذت تواسيها قائلة لها: « اذا احببت، ساجعل ريك يكلمه في هذا الموضوع.»

عرضت هيزر عليها هذه الفكرة، ولكن وين رفضتها رفضاً قاطعاً. أنها لا يمكنها ان تتصور كم سيكون وقع ذلك مؤلماً على جايمس نفسه، خاصة بعد ان يعرف ان ابنه الوحيد فضل ان

يبحث مشاكله مع رجل آخر. وبالمناسبة، لماذا يجب عليها ان تهتم وتقلق لما قد يشعر به جايمس؟ انه لم يهتم ولم يقلق مرة واحدة للأذى الذي كان يسببه لها في كل مرة.

ولسوء حظها، باتت امورها اكثر تعقيداً. فمشاكلها لم تتوقف فقط على حياتها اليومية، بل اصابت عملها أيضاً. فقد بدأ توم ينتقد كل عمل تقوم به وبصورة غير عادلة، كما انه وفي كل مرة يكونان فيها في غرفة المكتب بمفرد هما، يلقي بعبارات سخيفة هازئة لوجود جايمس يعيش معها تحت سقف واحد. حاولت وبمشقة ان تكون عادلة في حكمها على ردات فعل توم، لأنها كانت تعلم حق العلم انها لو لم تكن محاطة بهذه الظروف الشاذة، لما كان تصرف معها توم بهذا الشكل. فتقبلت هذا الواقع المرير بجد وصبر، ولكنه اصبح مؤخراً يضرب موعداً مع احدى العاملات الجدد والتي لا تجاريها ثقافة وخبرة ومركزأ. والآن وبما ان تلك العاملة قد اصبحت صديقة صاحب الفندق، بدأت تتصرف بقلة احترام مع وين، كما وانها لم تعد تحترم التقيد بنظام اوقات العمل، وتقوم بأخطاء وهفوات لا يقبلها العقل ولا أي مدير عمل.

حاولت وين ان تنبهها بأن مجئها إلى العمل متاخرة وانصرافها منه باكراً، امر مرفوض وغير مستحب، وبأن ذلك سيغضب زملائها في العمل كونهم سيضطرون إلى تغطية الأعمال لغيابها والعمل مكانها، لكن محاولاتها باءت بالفشل، لا بل وقعت على آذان صماء.

وبعد ظهر هذا اليوم، خرجت تلك العاملة عند الظهر ولم تعد، وكان الفندق في حركة متواصلة من العمل، فاضطررت وين ان تعمل في قسم الاستعلامات مكانها.

بدأت تنهر وتفقد عزيمتها، لكنها شددت من عزمها وقد تساءلت هل يحق لها بأن تكون في مثل هذا النوع من العمل، بينما لم تتوصل بعد على أن يجعل ابنها يفهم الأهمية من قوة الاحتمال والصبر والأخلاق الحسنة، وان يحاول ان يصفي إلى وجهات نظر الآخرين ويتفهمها.

كان الوقت قد تأخر وتجاوزت الساعة السابعة عندما تمكنت من الانصراف من الفندق. كانت في حالة اعياء شديد لدرجة أنها قد تفقد اعصابها وتتنفس غاضبة في آية لحظة. وقررت ان تبلغ ليزا في صباح اليوم التالي عواقب من يخالفون قوانين العمل ويتجيرون عنده متى شاء لهم، أو أن تبحث عن عمل جديد لها خارج هذا الفندق، والمقصود الآن وين في ذلك. مع أنها كانت تعلم أنها لو خرجت من هذا الفندق ستفسح المجال أمام ليزا لأن تقول على الملا أنها فعلت ذلك بسبب علاقتها السابقة مع توم، ذلك لأن ليزا كانت من النوع الذي يحب الثرثرة التي لا نفع منها.

خرجت وين من السيارة بإعياء ووهن، ومشت بخطوات متعرجة في الممر المؤدي إلى باب المنزل وفتحته بعد ذلك وهي لا تصدق أنها وصلت أخيراً.

كان جايمس وشارلي معاً في المطبخ، وكان هذا الأخير يجلس إلى الطاولة وهو ينظر إلى جايمس بصمت وكان أمامه طعام العشاء. وشعرت وين بقلبه يهوي من مكانه عندما رأت علامات العداء والكراهية تنبئ بوضوح من وجهه، والغضب والعناد في عينيه، بينما اطل العزم الشديد على وجه جايمس.

سألت بهدوء محاولة جهودها لأن تتفعل وتثور: «ماذا هناك؟»

أجابها شارلي على الفور: «قال انه يجب علي ان اتناول هذا الطعام، وانا لا اريد ذلك.»

ارتعش قلب وين اكثر، ونظرت بسرعة إلى طبق الطعام على الطاولة، فوجدت ان ما فيه هو افضل ما يرغبه ويحبه شارلي من طعام.

قالت له بطريقة آلية: «من مساوىء الاخلاق ان تتوجه للآخرين بكلمة انه او انها. وعلى آية حال، لماذا لا ت يريد هذا الطعام؟ انه من الأطعمة المفضلة لديك.»

أجابها شارلي: «انه بارد..»

سمعت وين كيف تنهد جايمس الذي كان يقف في الجهة المقابلة منها، وعلمت بما كان يشعر به حيال هذا الموقف. ولم تلمه في ذلك بل رأت انه على حق. لكن شارلي كان ينظر إليها نظرات توسل، وتمكنت ان تقرأ في تلك النظارات في عينيه حاجته إلى حمايتها وتأييدها، تماماً كما كان يفعل عندما كان طفلاً صغيراً يتكل عليها كل الاتصال.

شدت على اعصابها كي تقسو على قلبها حيال نظراته المتولدة تلك. ان شارلي يعرف جيداً كيف يحتال عليها ليرق قلبها، كما وانه لم يكن بائساً ولا ضعيفاً ليتكل عليها الآن.

سألته أخيراً: «حسناً. لكن غلطة من هذه؟» جفلت من الطريقة التي نظر فيها إليها، وكأنها خانته بطريقة أو بأخرى، ويليق لها ان تدعى بالخائنة عن جداره. أجابها شارلي: «انه لم يطه هذا الطعام بالطريقة التي احبها. وقد قلت بأنك ستقومين انت بذلك، كما انك وعدت بأن تعودي باكراً هذا المساء.»

اجابت وين تصحح ما قاله: «لقد قلت اتنى ساحاول العودة باكراً يا شارلي، وأسفه لأننى لم اتمكن من ذلك. على أية حال، أرى أن الطعام الذى امامك ممتازاً لا عيب فيه.» شعرت برغبة ملحة لتقول له بل لتنذّر كم كان يريد وبالحاج شديد عودة جايمس لينضم إلى حياتهما، وبالطريقة التي كذب عليها ليستدعىه للاستقرار هنا بصورة دائمة، لكنها لم تتمكن من فعل ذلك لوجود جايمس بينهما. ولكنها قالت بالمقابل: «انه لعمل جيد من والدك ان يعد لك طعام العشاء.»

قاطعها شارلي قبل ان تتمكن من ان تنهي كلامها وقال: «لم اطلب منه ذلك، كما واننى لا اريد بيتنا، ولا اريده أن يتدخل في كل صغيرة وكبيرة ويقول لي مازا يتوجب علي ان افعل. لقد كانت الأمور افضل بكثير يا أمي عندما كنا بمفردنا.»

ثم دفع بكرسيه إلى الوراء وهم بمعادرة المطبخ قبل ان تتمكن وين من التفوه بكلمة واحدة. كانت تعلم تماماً انه يتوجب عليها ان تنايه ليعود ويعذر من جايمس، لكن انفعالاتها لم تسuffها على تنفيذ ذلك.

وبعد ان اصبح شارلي خارج المطبخ، التفت وين نحو جايمس وقالت: «جايمس، أنا آسفة. أنا....»

قاطعها جايمس بقسوة قائلاً: «هل انت حقاً كذلك؟ هل نسيت بانك انت من جعلته يتفهم وبوضوح بانك لا تريدينني ولا بشكل من الاشكال في حياتك؟ يجب علي ان اخرج من هنا.»

وعندما خرج من البيت، حملت وين صحن الطعام ورمي ما فيه في سلة المهملات، ثم اخذت تغسل ما علق عليه من

الدهون. وسمعت وقع خطوات شارلي يهبط السلالم من الطابق الأعلى ويدخل إلى المطبخ، لكنها بقيت تدير له ظهرها بقصد منها.

ولما انتهت من العمل الذي تقوم به، سأله: «ما الأمر يا شارلي؟ كنت اعتقادت انك تريدي والدك ان يعيش معنا؟» قطب شارلي ما بين حاجبيه ثم قال: «كنت فعلاً اريده في البداية، لكن لا اعرف، شعرت بعد ذلك بأنني لا اريد احدا سوانا، تماماً كما كنا في السابق. لا اريد أن يعيش في هذا المكان أحد سوانا. امي، لو ان شيئاً قد يحدث لك، لو... لو انه حصل أمر ما، هل ساضطر إلى ان الحق به واعيش معه؟» كان ينبغي من وين ان تتبهج وتفرح بما قاله شارلي، ولكنها شعرت بألم في صدرها من كلماته هذه، لأجل شارلي ولأجل جايمس على السواء. توجهت نحوه وجلست القرفصاء امامه وهو جالس على الكرسي واحتاطه بذراعيها بعطف وحنو قائلة: «شارلي، لا يمكنني ان اعدك بأن لا يحدث لي أي حادث، لكن الذي يمكنني ان اعدك به، اتنى ساحاول جهدي في ان انتبه لنفسي وانا اقود السيارة كي اعود اليك سالمة. لقد اصبحت الان كبيراً ويمكنك ان تفهم ماذَا اعني بكلامي هذا. فلو حدث شيء لي، سيكون والدك شرعاً وقانوناً المسئول الوحيد عنك من بعدي، لكنني اعلم جيداً بأنه لن يجعلك تعيساً بائساً. كما اريدك ان تعرف بأنه يمكنك ان تختار العيش مع جدك وجدى أو مع اخوالك، اذا لم تشعر بالارتياح معه.»

أجاب شارلي: «لكنهم جميعهم يعيشون بعيداً، وانا اريد ان ابقى هنا.»

أجابته: «لقد قالت لي هيزر وفي عدة مناسبات انه يمكنها الاهتمام بك اذا كنت تريده ذلك. فهل هذا ما تريده يا شارلي، ان تذهب وتعيش مع ابنها داني؟»
 «لا اريد ان اعيش مع احد غيرك يا امي.» قال لها بعاطفة مؤثرة، ثم ضمها بقوه إلى صدره.
 «اعرف يا عزيزي، أعرف ذلك.» واخذت تهدىء من خاطره بكلمات حنونة، وقد ادركت كم اثر فيه ذلك الحادث الأليم وملأ رأسه بالهواجس والمخاوف من المستقبل.
 «لا اريدك ان تتزوجي ثانية يا امي، او ان تتجنبي اولاداً آخرين، اريد ان نبقى سوياً إلى الأبد.»
 «آه يا شارلي..»

ماذا عليها قوله؟ هل تعده بـ لا تتزوج مرة ثانية؟ انه من غير المعقول على الاطلاق ان تعدد بذلك، ليس لأنها تدرك مدى تأثر جايمس الآن، انما لعلها ان قيامها بمثل هذا الوعد، لهو من الأمور البعيدة جداً عن العقل.
 كان الوقت قد تأخر عندما عاد جايمس، لأنها لم تسمع صوتاً له. لقد كانت سيارته متوقفة في الخارج عندما نهضت في الصباح الباكر، لكنها لم تجد له أي أثر قبل ان تتوجه إلى عملها.

تمكنت عند الظهرة ان تمنح لنفسها اجازة لنصف ساعة وقادت سيارتها لتزور هيزر. أنها تريد ان تباحث معها بالذى حصل معها في الليلة الماضية.

ولما عرفت هيزر الأخبار الجديدة، قالت لها: «آه. يبدو لي انه يعاني من الغيرة الشديدة من ابيه ويختلف ان تحولي اهتمامك اليه. الا لاز كافه يمرون بهذه المرحلة. ان شارلي

يمر الان في هذه المرحلة الدقيقة، خاصة انه كان يعتقد نفسه بأنه المسؤول الوحيد عنك وعن شؤون المنزل في غياب ابيه.»

تنهدت وين وقالت: «لقد كان جافاً وقاسياً جداً مع جايمس..»

سألتها هيزر: «هل ناقشت هذا الأمر مع جايمس ام ليس بعد؟»

نفت وين بحركة من رأسها، ثم قالت: «لقد... لقد خرج الليلة الماضية، وعندما عاد كنت انا في سريري احاول ان انام. اشعر بالذنب يا هيزر. انه يعتقد بأنني وبتعمد مني احاول ان اعلم شارلي ليقف ضده، وفي الحقيقة انا لست كذلك. بل على العكس...»

«بل على العكس رحبت بمساعدته في التعامل مع شارلي..»

«نعم. اشعر احياناً أن شارلي يعاني من الاحتباط بسببي. فلو انه فعلاً يشعر بالأمان وبالثقة بالنفس لما اضطر لأن يبعد الآخرين عن حياته. واعرف ان ما يعانيه الان، يعود إلى ذلك الحادث الذي شاهد كل تفاصيله المؤلمة. لكن...»
 «لكن ما يقلقك هو ان شارلي يرفض ان يشارك كما اي كان

حياتكم معاً، حتى ولو كان ذلك الانسان والده.»

«نعم.» وافقتها وين، ثم شهقت بعد ان نظرت إلى ساعة بدها وقالت: «أوه. لقد مر الوقت دون ان نشعر. يجب ان أعود الان إلى عملي.»

تمكنت هذه المرة من أن تترك العمل في الوقت المحدد. وعندما اوقفت سيارتها امام البيت، لم تجد أى اثر لسيارة

جايمس، ولكنها كانت تعلم ان سبب خروج جايمس الدائم هو سعيه ليفتش عن مكان مناسب لينشئ شركته التجارية. وجدت شارلي يهم بالخروج قائلاً لها بأنه يرغب في زيارة داني، فطلبت منه ألا يتأخر هناك، ثم خلعت معطفها ودخلت إلى المطبخ لتعد لنفسها فنجاناً من القهوة. وبعد ان جلست وهدأت، وجدت رسالة كتبها لها جايمس، وعندما تناولتها، شعرت بانقباض في معدتها. فضلت الرسالة وأخذت تقرأ ما جاء فيها بسرعة، وقد ادركت مسبقاً ما قد كتب في هذه الرسالة.

وجاء في الرسالة، بأنه قد قرر مغادرة البيت بعد ان وجد ان ذلك افضل له ولابنه، وقد حجز لنفسه غرفة في احد الفنادق. لقد اتضحت له ان وجوده يزعج ويضايق شارلي، لذا فقد قرر وذلك اكراماً للفتى، ان يراجع الأمور بروية قبل ان يعود نهائياً للعيش معهما.

الكلمات التي جاءت في رسالته، خنقـت انفاسها في صدرها، كما ان الدموع في عينيها ترقرقت بحرقة والـمـ، وبـيـأـسـ وـغـضـبـ...ـ بـغـضـبـ اـكـثـرـ عـنـفـاـ مـنـ أيـ غـضـبـ آخرـ عـصـفـ بـهـاـ فـيـ حـيـاتـهـ،ـ لاـ بـلـ بـاـنـفـعـالـ اـشـدـ مـنـ الذـيـ عـاشـتـهـ يومـ اـكـتـشـفـتـ خـيـانـةـ جـاـيمـسـ لـهـ مـعـ مـسـاعـدـتـهـ تـارـاـ.

رفعت سماعة الهاتف، وطلبت ارقام هاتف هيزر باصابع مرتجفة، وسألت صديقتها اذا كان بامكان شارلي ان يقضـيـ هذهـ اللـيـلـةـ عـنـهـ مـعـ دـانـيـ.

وأضافـتـ:ـ «ـلـقـدـ جـدـ شـيـءـ جـدـيدـ،ـ شـيـءـ فـيـ غـاـيـةـ الـأـهـمـيـةـ.ـ هلـ شـارـليـ عـنـدـكـ؟ـ»ـ

ثارـتـ ثـائـرـةـ شـارـليـ عـنـدـمـاـ عـلـمـ بـأـنـهـ سـيـقـضـيـ هذهـ اللـيـلـةـ مـعـ

داني، ولكنها تمكنت هذه المرة ان تتـشـجـعـ وتـكـونـ حـازـمـةـ معـهـ.

وسـأـلـهـاـ:ـ «ـهـلـ لـأـنـكـ خـارـجـةـ مـعـ تـوـمـ؟ـ»ـ اـجـابـتـهـ:ـ «ـلـاـ.ـ هـنـاكـ شـيـءـ هـامـ اـرـيدـ اـنـ اـنـاقـشـهـ مـعـ وـالـدـكـ.ـ»ـ اـجـرـتـ بـعـدـ ذـلـكـ عـدـةـ اـتـصـالـاتـ هـاتـفـيـةـ قـبـلـ اـنـ تـكـتـشـفـ بـأـيـ فـنـدقـ يـنـزـلـ جـاـيمـسـ،ـ فـاسـرـعـتـ إـلـىـ سـيـارـتـهـ وـهـيـ تـمـنـيـ النـفـسـ اـنـ تـجـدـهـ هـنـاكـ.

وـمـنـ حـسـنـ حـظـهاـ اـنـ عـاـمـلـةـ الـاسـتـعـلامـاتـ جـدـيـدةـ لـيـسـ عـنـدـهـاـ خـبـرـةـ كـافـيـةـ فـيـ هـذـاـ المـجـالـ،ـ لـذـاـ،ـ وـعـنـدـمـاـ قـالـتـ لـهـاـ وـيـنـ بـأـنـهـاـ السـيـدـةـ غـارـدـنـرـ،ـ اـظـهـرـتـ تـلـكـ العـاـمـلـةـ سـعـادـةـ بـيـنـماـ كـانـتـ تـعـطـيـهـاـ رـقـمـ غـرـفـةـ جـاـيمـسـ،ـ لـاـ بـلـ مـفـتـاحـ الغـرـفـةـ أـيـضاـ.ـ اـخـذـ قـلـبـ وـيـنـ يـنـبـضـ بـسـرـعـةـ وـهـيـ مـتـوـجـهـ إـلـىـ الـمـصـدـ.ـ اـنـهـ لـيـسـ بـالـعـلـمـ الـذـيـ تـتـمـنـيـ اـنـ تـقـومـ بـهـ لـنـفـسـهـاـ،ـ وـتـصـورـتـ كـيـفـ سـيـسـتـقـبـلـهـاـ جـاـيمـسـ،ـ وـكـمـ سـيـظـهـرـ لـهـاـ عـدـمـ رـغـبـتـ لـرـؤـيـتـهـاـ اوـ لـسـمـاعـ ماـ سـتـقـولـهـ لـهـ،ـ لـكـنـهـاـ الـآنـ لـيـسـ فـيـ وـضـعـ تـدـافـعـ بـهـ عـنـ حـقـوقـهـاـ الشـخـصـيـةـ،ـ بـلـ اـنـهـاـ هـنـاـ لـاـ جـلـ شـارـليـ وـمـسـتـقـبـلـ شـارـليـ فـقـطـ،ـ وـلـاـ يـهـمـ مـاـ قـدـ يـفـكـرـ جـاـيمـسـ بـهـ اوـ مـاـ يـقـولـهـ الـآنـ،ـ لـأـنـهـ لـاـ يـعـلـمـ اـنـ شـارـليـ يـحـتـاجـ إـلـىـ وـالـدـهـ وـإـلـىـ الـمـحـبـةـ الـتـيـ قـدـ يـوـفـرـهـاـ لـهـ.

وـمـاـ لـأـشـكـ فـيـهـ اـنـ جـاـيمـسـ يـحـبـ شـارـليـ،ـ خـاصـةـ اـنـهـ كـانـ يـنـفذـ كـلـ مـاـ يـفـكـرـ بـهـ وـيـضـعـهـاـ قـبـلـ رـغـبـاتـهـ هـوـ.

لـقـدـ تـأـكـلـ لـهـ أـيـضاـ اـنـهـ لـاـ يـحـبـهاـ،ـ لـكـنـهـ يـحـبـ شـارـليـ وـيـخـشـيـ عـلـيـهـ،ـ وـهـذـاـ مـاـ تـرـيـدـهـ وـتـتـمـنـاهـ.ـ لـأـنـهـ وـفـيـ وـقـتـ مـنـ الـأـوـقـاتـ لـمـ تـصـدـقـ كـيـفـ يـمـكـنـ لـلـأـبـ اـنـ يـنـكـرـ اـبـنـهـ وـيـشـعـرـ تـجـاهـهـ ذـلـكـ الشـعـورـ الشـاذـ.ـ وـكـلـ مـاـ تـسـتـطـعـ فـعـلـهـ الـآنـ هـوـ التـمـنـيـ اـنـ تـكـونـ

مشاعر جايمس قد تبدلت حقاً تجاه ابنه، وانه بات يحبه ويريده.

دقى على باب غرفة جايمس قبل ان تفتحه بالمفتاح الذي اعطتها ايادى عاملة الاستعلامات. وجدت جايمس خارجاً لتوه من الحمام، وكان شعره ما زال مبللاً. لكنها وعندما وقعت عيناهما عليه، شعرت انها مازالت تحبه وتشتاق إليه وإلى كلماته الرقيقة الحنونة، إلى ان تقول له، بل ترجوه أن يبقى معها... لكنها ذكرت نفسها أخيراً بالسبب الرئيسي الذي دعاها لأن تكون هنا.

كانت دهشة جايمس بالغة لرؤيتها، وبدا عليه انه غير راضٍ كذلك.

وقال: «وين! ما الذي...»

«جئت لأتكلم معك بخصوص شارلي.» اسرعـت تقول مقاطعة قبل ان يحاول قول أي شيء لن يسر خاطرها أو قبل ان يتذمر لوجودها أو يدعوها إلى الخروج حالاً.

لوى قسمات وجهه اشمئزازاً وقال: «اعتقد اننا قلنا كل شيء... أو لنقل ان شارلي هو الذي تكلم عنا... الا تعتقدين ذلك؟»

«انه بحاجة إليك يا جايمس. آه، ربما لا يبدو لك الأمر كذلك، واعلم أيضاً بأنه هو نفسه لا يدرك ويفهم ذلك. انه يمر الآن في مرحلة دقيقة وصعبة، و... حسناً. سأقول لك، انه ليس معتاداً على وجود شخص آخر من جنسه في بيت واحد. لكن...»

«لا تقولي لكن يا وين. انه لم يعد طفلاً، ولقد عبر عما يريده بوضوح تام. ولا يمكنني ان الومه على ذلك. فلو كنت

مكانه لكت شعرت بنفس ما يشعر به، ربما كان علي ان اقرأ ما بين السطور وافهم ما كان يعنيه عندما كتب الي ليقول لي بأنه لا يريدك ان تتزوجي من صاحب الفندق، فاعتقدت عندها، بأنه يخاف ان يسيء ذلك الرجل معاملته، او انه قد يضيع بين الأولاد الذين ستتجاذب بينهم منه. أعلم الان كم كنت غبياً لأنني اسألت لهم معاني ومخاكي رسالة شارلي... ولكن، وعلى ما اعتقد، أرى انه لا انت ولا انا قد نضجنا كفاية لنتوقف عن التصرف ببغاء».

«ألا يمكنك ان ترى وتلمس بغرiziaة الآبوة من خلال تصرفاته كم انه يحتاج إليك في حياته؟ لقد رفضته يا جايمس عندما كان طفلاً رضيعاً، فارجوك ألا ترفضه الان.» توقفت قليلاً لتهدىء من انفعالها ثمتابعت قائلة: «عندما عدت فجأة من استراليا، كنت افكر بوسائل عديدة كي اجعل شارلي ينقلب ضدك، وكان آخر ما اتمناه واريدك ان اراك مجدداً في حياتي، لكن الان...»

قطعاً لها جايمس ليقول بقسوة: «لكن الان وجدت انه من المستحسن ومن الانفع لك ان الازم شارلي وابقى معه، وذلك ليتسنى لك ولقوم ان تبنيا عشكما الصغير دون ازعاج ومعاكسته شارلي لاما».

«لا!» جاء نفيها سريعاً وعنيفاً، وكانت عيناهما تتقدان بغضب شديد وهي تحاول في الوقت نفسه ان تسسيطر على عواطفها، ثمتابعت تقول: «احب شارلي جداً لم تمنه ام في هذه الحياة لابنها. فكيف تتجرأ على ان تقول...»

فتحادها جايمس قائلاً: «قد تحبينه حقاً كما تقولين، ولكن هل خطيبك المزعوم يحبه هو الآخر؟»

حدقت وين في وجهه بحيرة ثم قالت بارتباك: «خطيببي؟ ولكنني لست مخطوبة لتوم، في الواقع...» ضغط جايمس عليها مقاطعاً: «في الواقع ماذا؟» تردد شيء في داخلها يقول لها، ما الذي تخشينه من قول الحقيقة، وبالخصوص ان الأمر لم يعد مهمًا الآن.

قالت له: «لقد ادركنا انا وتوم منذ فترة بعيدة بأن زواجنا فاشل. كنت اعلم ان شارلي لا يتفق معه، لكنني لم ادرك حقده عليه وكراهيته له الا...»

«الا عندما عدت اليكما وذلك بعدما استنجد بي لعدم رغبته بزواجه من توم، لكنني اكتشفت انه يكرهني أيضاً، بل انه يحتقرني ولا يريد مني اية مساعدة...»

قالت له بصوت منخفض: «ان شارلي لم يحترك يوماً، بل على العكس، انه يدرك ويعتبرك بطلاً من الأبطال. وعلى ما اعتقد، هذا ما دفعه لأن يقوم بتلك التصرفات السيئة.»

سألتها: «لأنه اكتشف بأنه لم يكن على الصورة التي صورها له عقله؟»

أجبته: «لقد اثر الحادث فيه تأثيراً بالغاً يا جايمس. تصور انه سألني ليلة البارحة ما الذي قد يحصل له لو انتي... لو انتي أصبحت بحادث ما.»

تحداها جايمس باشمئزاز: «وبماذا اجبته؟ لا يهم ان لم يأت ليسكن معي اذا لم يرغب بذلك.»

«ألم تفهم بعد يا جايمس بأنه من المهم جداً ان تكون في حياته، وان تتفقا معاً قلباً وقالباً، و...»

«تقولين قلباً وقالباً معاً؟ وهل تعتقدين بان ذلك بالأمر

السهل؟ لا اعتقد ذلك، خاصة انتي ساعود إلى استراليا بينما هو سيكون هنا.»

سيعود إلى استراليا؟ ارتعشت وين واضطررت لهذا الخبر فتمسكت بحافة الكرسي كي لا تهوي على الأرض. فما قاله سبب لها صدمة قاسية فارادت ان تبكي، ان تتوسل إليه، ان تتعلق به وترجوه ان يقول لها بأن أذنيها اخطأتا بالذى سمعته. ولحسن حظها، ابقتها الصدمة جامدة بلا حراك. ثم قال مديرأ لها ظهره: «يبدو ان افضل ما يمكن عمله، هو ان نواجه الواقع يا وين. ربما يرضيك الان ان ادخل في حياة شارلي، ولكن من المؤكد ولا جدل في ذلك، ان هذا القرار لن يرضيه ابداً... وبالخصوص عندما يعتقد بأنه اشكل خطراً على علاقته معك.»

حدقت وين في وجهه غير مقتنعة: «ماذا تقصد بكلامك؟» «اقصد يا وين، ان شارلي وكأي شخص آخر، يرفض ويمانع دخول من هو من جنسه في حياته التي يعتبرها مملكته. وهذا هو السبب الذي جعل شارلي يرفض وجودي في حياته يا وين. كما انه لا يريدك انت أيضاً في حياتي.» تورد وجه وين بحمرة الخجل، وتساءلت هل انه يحاول ان يقول لها بأنه عرف ما تشعر به نحوه، وانه لا جل هذا السبب فقط، قرر ان يعود إلى استراليا؟

غمرتها موجة هائلة من خيبة الامل، فاضعفت قواها وشلتها.

قالت له بعنف: «لو انك حقاً ودوداً للشعر هو بذلك الحب. دعه يدرك ويعي مدى اهمية الوصول إلى فهم الحقيقة والابتعاد عن انفعالاته السلبية. انه بحاجة اليك يا جايمس،

بحاجة اليك لتعلمك كيف يصبح الفتى رجلاً... فأننا كما تعلم لا يمكنني ان اظهر له ذلك. انه حتى في حاجة اليك اليوم اكثر من حاجته اليك عندما كان طفلاً. لقد ادرت له ظهرك بالأمس، فلا تدر له ظهرك اليوم. ارجوك. انه ابنك فلا تخلى عنه. أنا أعلم بأنك لا تريدينني في حياتك، لكن شارلي...»
«ماذا؟»

آخرستها الحدة الشديدة في نبرة صوته وحيرتها، فنظرت إليه متربدة وغير متأكدة.

ثم قال بلهجة أمراً: «ما الذي قلت؟»

ازدردت وين ريقها الجاف مضطربة لا تدري بما تجيب ثم قالت متلعثمة: «قلت... قلت ان شارلي بحاجة...»
وعاد يسألها جايمس وقد نفذ صبره: «لا. لا لم اقصد ذلك، ماذا قلت بخصوص عدم رغبتي بك؟»

حولت نظرها عنه إلى النافذة متربدة حائرة. كان قلبها ينبض بعنف وخوف من هذه اللحظات الحرجة، وشعرت بالغثيان وبدوران شديد في رأسها، فخافت وذعرت من المذلة التي قد تعانيها من ردة فعل جايمس.

«قلت انتي اعرف بأنك لا تريدينني في حياتك.» اجابته بجفاف في حلها دون ان تتمكن من النظر في وجهه، ولاحظت بعد ذلك بأنه اخذ يتقدم نحوها.

ارتعدت وصدمت عندما امسك بها بيديه القويتين، وسألها مشمئزاً: «ما الذي تريدين قوله؟ خصوصاً انك تعرفين، بل متأكدة من ان ذلك غير صحيح. حتى انك في احدى المرات قلت لي بأنك تعرفي السبب الحقيقي لعودتي

من استراليا وما اريده على وجه التحديد. فمن اي نوع هذه اللعبة التي تريدين التلهي بها الان يا وين؟ هل خطر ببالك ما الذي تفعلينه بي. اتيت ورأي إلى هنا لتقولي لي بأن شارلي... بأن ابني بحاجة إلي ويريدني، وتحاولين ان تجعليني اشعر بأسوء الحالات لأنني لا استطيع السيطرة على مشاعري وعواطفي، ولا اعرف فيما لو ابقي أو أرحل...؟ بينما انت واقفة امامي بهذه البرودة وتمام السيطرة على النفس، حيث انك تعلمين...»

ماذا؟ هل يصفها هي بالبرودة وضبط النفس؟ حدقت وين في وجهه متسائلة، الا يمكنه ان يشعر بمدى اضطرابها، الا يمكنه ان يرى... الا يمكنه ان...

وابع هو قائلاً: «الا تدركين مدى ما يحصل لي من اختلالات واضطرابات لأنني لا استطيع السيطرة على نفسي وأردعها عن أخذك عنوة بين يدي وفي هذه اللحظة وفي هذا المكان.» وأخذ نفسها عميقاً قبل ان يتبع الكلام: «لا اتعجب لم لا يريدي شارلي ان ابقي، لأنه يعرف تماماً شعوري تجاهك، كما انه يعرف أيضاً، مشاعري تجاهه وحبي له. ولكنني اقول ذلك بناءً على ما اشعر به تجاهكم، لو انه فقط تمنح لي الفرصة، حتى لو كانت ضئيلة، من المؤكد انتي قد اعود إلى حياتكم...»

لم تصدق وين اذنيها، فهل هذا الذي يكلمها بعاطفة وحنان هو جايمس بالذات؟ وقد قال لها انه لا يستطيع ضبط مشاعره وعواطفه؟

وسمعته يقول وكأنما صوته آت من بين الغيوم: «احبك يا وين. آه لو تعلمين كم أحبك.»

«لكن... لا يمكنني ان اصدق ذلك، لقد هجرتني... لقد...
كان هناك امرأة أخرى...»

«لا. ابداً. آه، نعم اقر بأن تارا شففت بي، ولكنني لم اكن
اريدتها ولا بشكل من الاشكال. وغلطتي الكبيرة انتي سمحت
لها ان تشعر بي، خاصة عندما تصرفت ببغاء و كنت يومها
في حالة نفسية متعبة لا احسد عليها، وتركتها توصلني إلى
البيت، فاعتقدت انها تريد ان توصلني اليك، إلى بيتنا.
لكنني تلقيت اعظم واكبر صدمة في حياتي، عندما
استيقظت في اليوم التالي لأجد نفسي في شقتها...»
سكت فجأة عندما شاهدت ملامح وجهها يتتابع مشمنزاً.
«لكن لم يحدث بيننا أي شيء..»

سألته: «كيف يمكنك ان تؤكّد ذلك؟ فقد قلت انك كنت في
حالة نفسية متعبة..»

اجابها: «لأنني كنت في هذه الحالة، اعرف، لا بل متأكد
بأن شيئاً لم يحدث بيننا..»

«ولكنك وافقت على طلاقى منك! انك حتى لم تحاول
ان...»

أخذ يتأملها مليأً بحنان وقال: «آه يا وين. لا استطيع
الاستمرار على هذه الحال، حتى ولا اكراماً لشارلي. احبك
كثيراً، الا يمكنك ان تلاحظي ذلك؟ فالافضل لنا جميعاً ان
اعود من حيث اتيت. انك تدركيين الان ما يمكن ان يحدث لو
انني بقىت، لذا اجد نفسي مضطراً إلى العودة..»

قالت وين بلهفة: «لكنني... لكني اريدك ان تبقى..»
اخذا يحدقان ببعضهما البعض بينما اخذت نبضات
قلبيهما تزداد، وقد عجز لسانهما عن الكلام.

تكلم جايمس اخيراً وقال بمرارة: «لا يمكنني، وذلك من
اجل شارلي..»

هزت وين رأسها بعنف ثم قالت: «لا. ابقى لأجل انا...
انتي لم اتوقف عن حبك يوماً يا جايمس..»
نظر إليها نظرة ساخرة وقال: «لم تتوقفي ابداً؟ كيف ذلك
وانت لم تحبيني ابداً يا وين؟ كيف يمكنك ان تحبيني وانت
ما كنت سوى طفلة في ذلك الحين. آه. هل ساتخلص يوماً
من عقدة الذنب لأنني احبيتك؟ لقد هدمت حياتك يا وين. لقد
احببتك. ولكن بأنانية كبيرة وتجاهلت كل من قال لي بانك
مازالت صغيرة وغير ناضجة. فلو انتي حقاً احبيتك، كان
علي ان ابتعد عنك بعض الوقت حتى تكبري اكثر وتصلين
إلى مستوى المرأة الحكيمة الناضجة... ولم اصبر عليك بل
ربطك بالرباط الزوجي الذي لم تكوني مهيأة إليه بعد..»
نظرت وين إليه ملياً ثم قالت: «الأمر لم يكن كما تتصوره،
فماذا تقول؟ لقد اقتنعت كل الاقتناع بالزواج منك..»

فاجابها بقسوة: «كل الذي اردته مني هو علاقة الزوجة
بزوجها لا اكثر.» ثم تأوه بألم عندما رأى التأثير العميق
على وجهها وتتابع يقول: «وين... وين... يجب ألا تخجلي
من ذلك، فلو ان اخوتك الاشقياء لم يعاملوك بالحذر
والحماية، ل كانت الحياة علمتك حتى قبل ان تتعزز على،
بأن للعلاقة الزوجية قوة وسلطة رهيبة علىبني البشر، لكن
وبما ان اخوتك قاموا بحراسة شديدة عليك فتربيت تربية
خطئة لا تفهمن منها مشاكل الحياة والمجتمع الذي يحيط
بك، اعتقدت بأن العلاقة الزوجية والحب بمفاهيمه، هما
توأمان لا يتجزآن.»

كنت اعرف انني مخطئ، ولكنني تجاهلت الأمر. لكن هذه غلطتي انا وليس الذنب ذنبك على الإطلاق. كان يتوجب علي ان امنحك وقتاً اطول، وان اصادرتك واتعرف عليك قبل ان اسمح لنفسي بالزواج منك. والسبب الذي منعني من ذلك، هو خوفي من ان اخسرك وافقدك، فاسرعت وتزوجتك وكان الذي كان..»

اعترضت متحجة: «ولكنني أردت ان أتزوجك». وافقها قائلة: «نعم في البداية. ولكن سرعان ما غيرت رأيك، ليس كذلك؟ وجعلتك بعد ذلك حاملاً. انه امر ليس بوسعي ان اسمح نفسي عليه..»

صرخت وين قائلة: «لا يمكنك ان تلوم نفسك ابداً!» «لقد كنت طفلاً، طفلة لكن بجسد امرأة تحمل ابني..» اجابته بحدة: «كنت في التاسعة عشرة من عمري..» «لم آت على ذكر عمرك يا وين، اعني بأنك لم تكوني ناضجة فكريأً بعد، آه كم كرهت نفسى لما فعلته لك، ولقلة اهتمامي باتخاذ الاحتياطات الضرورية لعدم حملك، لكن ومع ذلك. آه، كم اردتكما انتما الاثنين..»

لم تستطع وين ان تصدق ما كان ي قوله جايمس. وقالت بارتعاش: «ولكنك كرهتني عندما وجدت انتي حامل، وبالكاف كنت تنظر إلي عندما نتكلم..» صاح جايمس او هامها قائلة: «لم اكن اكرهك انت، بل كنت اكره نفسى..»

«لكنك كنت في غاية الغضب والثورة يوم ولادة شارلي، وعندما كان ينتحب وي بكى، وعندما...» «لقد كنت شائراً غاضباً من نفسي وليس منك يا وين، لأنه

كان علي أن أتجنب حدوث الحمل. كما ان عائلتك اعتنقت نفس الشيء أيضاً ولم ألم بها على ذلك. فعندما قلت لي انك لم تعودي تحبيني وطلبت الطلاق مني، ادركت ان عائلتك كانت على حق، وشعرت بأنني خدعتك وحجزت عليك حريرتك. لذا لم يكن في مقدوري ان استمر في هذا الوضع اكثر من ذلك، فمنحتك الطلاق، وابتعدت عنك وعن شارلي لامنكما حياة افضل واهنا دون وجودي بينكم. لا تتصوري كم كان الأمر صعباً علي، لا بل كان من اصعب الأمور التي واجهتها في حياتي. ولكن، وبالرغم من ابعادي عنكم، ظلل ضميري يعذبني ويؤنبني على ما اقترفته يداي في حقك، كان والدي يرسلان لي صوراً لكم، وعائلتي تكاتبني باستمرار. وكان أبي يزداد وأتحسر على عدم رؤيتكم سنة بعد سنة. وبعد ذلك عندما أصبح شارلي في السادسة من عمره، بعث لي والدي رسالة كتبها شارلي مرفقة ببطاقة معايدة صنعها بنفسه، فلم اقو على تحمل كل ذلك... وشعرت بأنه علي الاتصال به وبك أيضاً. اضطررت وين وقد تذكرت تلك المناسبة التي بعث بها شارلي بطاقة معايدة لوالده، وكان ذلك قبل ان يتقاعدا والدي جايمس ويسافرا إلى مكان آخر. وكان شارلي طوال ذلك الحين يسألها اسئلة عديدة عن والده بغية ان يتعرف عليه اكثر. وكانت من ناحيتها تجيبه على تلك الاسئلة بصدق بقدر ما تستطيع. انها تذكر الان كم بكت وتتألمت عندما ارها البطاقة التي صنعها في المدرسة اكراماً لوالده. وتذكرت أيضاً كم ارتاحت وهدأت عندما توقف عن ان يريها البطاقة لأنه كان قد ارسلها إلى والده بواسطة جديه.

تابع جايمس قوله: «ها أنت تعلمين الآن لماذا لا استطيع البقاء. فأنا غير قادر على أن أتحمل روبيتك بعيدة عنني، ولا تدررين كيف مزق الحسد والغيرة قلبي لصداقتك مع صاحب الفندق... غيرة وحسد لا تقدران ولا توaziyan شيئاً من غيرة وحسد المسكين شارلي. وشيء ما في اعمالي يرفض رفضاً قاطعاً ان تكوني لغيري..»

قالت له وين بلطف: «أمر غريب فعلاً، لأنني اشعر أنا أيضاً نفس ما تشعر به انت بالذات..»
نظر جايمس اليها مطولاً بشك وتردد، وبقلب يرتجف
آمالاً ان تعود المودة والمحبة اليهما.

سألها بقلق: «اين شارلي؟»
اجابت بثبات مطمئنة إياه: «ان شارلي بخير، وسيمضي هذه الليلة في منزل هيزر.» ثم ضحكت وقد فهمت معنى نظراته لها وقالت: «هيا نعود إلى البيت.» إلى البيت ليعيشا الحب من جديد وليعيدا السنوات الضائعة من عمرهما.

وعندما أصبحا في البيت والسعادة تحيط بهما من كل جنب وصوب، سألها بقلق: «الا تعتقدين بأنه ينبغي علينا ان نذهب لاحضار شارلي؟»

نظرت وين إليه بشوق وكأنها لا تصدق أنها فازت به من جديد وقالت: «نعم. لكننا لن فعل ذلك الآن، فهذه الأمسية هي لنا، أنا وأنت فقط يا جايمس، والتي سنعيد فيها بناء ما تهدم وفرق بيننا، لنجمع فيها ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا البعيد.»

«لنفكر ونقرر امورنا لاحقاً، لكنك تعلمين جيداً بأن شارلي لن يسعده ويرضيه ذلك..»

وافقت وين قائلة: «نعم، ولكن في البداية فقط. ولا تنس بانك انت والده يا جايمس..»
«نعم، كما انت والدته. فمتي تزوجنا من جديد وعندما يعلم بأنني سأبقى دوماً معكما...»
ارتجم قلب وين بسعادة لا توصف، عندما قال جايمس بنفسه انهم سيتزوجان من جديد. إعلان لطالما تاقت نفسها إلى سماعه من فمه.
«لكن هل ستنتج الأمور بيننا لو اتنا تزوجنا من جديد؟»
سأله وين بقلق وخوف من عدم نجاح هذه الفكرة.
اجابها بسرعة: «آه نعم يا وين. سنسعى جاهدين لإنجاحه.»

لم يتقبل شارلي الأمر بفرح عندما اخبرته وين بأنها وجائمه سيتزوجان من جديد. وخشيته من ناحيتها ولمرات عديدة، ان يعدل جايمس عن ذلك عندما لاحظت رفضه وتعنت ابنها شارلي لهذا القرار، وصبر جايمس وجده.
ولكن قبل أسبوعين من موعد زواجهما، هرب شارلي من البيت. وكان جايمس هو الذي وجده بينما كان يحاول ان يوقف احدى السيارات على الطريق العام، فاعاده إلى البيت، وكلمه وطيب خاطره عندما اخذ يذرف الدموع الغزيرة.
اضطربت وين من ذلك، فكانت المرة الأولى التي تشعر فيها بعدم رغبتها بالزواج من جايمس، وذلك ليس من اجل شارلي، انما لأجل جايمس نفسه. لكنه هدا من روعها، وأشار اليها بالتحلي بالصبر لفترة قليلة، وان تمنح شارلي فرصة ليتجاوز فيها صراعه الداخلي مع نفسه.
ومما قاله لويين: «انه يحبنا نحن الاثنين لكنه اعتاد ان

تكوني له دائماً، لذا فإن شيئاً في داخله يرفض أن تكوني لشخص آخر. »

«ولكنه حاول أن يثير مشاعري وحاول الهروب ليثبت لي عدم رغبته بك...»

اجابها جايمرس بجفاف: «هذا هو حال الأولاد الذكور دائماً، خاصة اذا كان مقروناً بالحسد والغيرة.»
كان زفافهما هادئاً ولم يقوما برحلة شهر العسل. لكن جايمرس قرر ان يذهبوا جميعهم في اجازة عائلية بعد ان ينتهي من تأسيس عمله الجديد.

كان شارلي في تلك الأثناء ينزو وي بعيداً عن امه، وقد وجدت نفسها راضية لذلك، ولكنها شعرت بنفس الوقت بالذنب لابتعاده عنها.

لقد كان ينضج بسرعة، وقامته تزداد طولاً، حتى ان صوته اخذ يخشن بعض الشيء، انه لم يعد طفلاً. وكانت تقلق في سرها خفية عن جايمرس، كيف وإلى اي مدى سيؤثر زواجهما على حياته الشخصية، وكم ان تصرفه الشاذ لجايمرس سيؤثر على زواجهما.

انها تعلم جيداً ما يشعر به من حقد وعداء لجايمرس في داخله، مع انه يتعامل معه بشكل طبيعي.

وكأن هذه الحالة العصبية لم تكن كافية، فقد بدأت وين تشعر بصحتها تتعب تدريجياً، وتختسر من وزنها وتشعر طوال الوقت بالدوار والغثيان. كما وان اي عمل كانت تقوم به يشعرها بالضعف والانحطاط، حتى ولو كان بسيطاً وسهلاً.
أخبرت صديقتها هيزر بكل ذلك وطلبت منها ان تتدعي لها النصيحة.

فسألتها هيزر بعد تفكير بسيط: «هل انت حامل يا وين؟» حامل؟ ان هذا لم يخطر ببالها ابداً، كيف يمكنها ذلك، وبالاخص انها ام لفتى في الثالثة عشر من عمره؟
كيف حصل هذا الأمر وبهذه البساطة؟ انها الآن وللمرة الثانية تشعر بالخوف من اعلان هذا الخبر، ليس لجايمرس، فهي تعلم وبغرائزها انه سيلتقى هذا النبأ بالترحاب الشديد، لكن لشارلي... كيف من الممكن أن تكون ردة فعله؟ يتوجب عليها ان تعلمه بذلك قبل ان يبدو الحمل عليها بوضوح، نعم يجب ان يعرف هو بالذات أولاً.

hama **said**

«حسناً يا زو. لقد حان وقت النوم بالنسبة لك.»

نعم لقد انجبت وين طفلة وها هي الان بعمر السنتين. حملها شارلي عن الأرض بيدين خبيرتين بعد ان سمع ما قالته والدته.
قالت له وين وقد همت بالوقوف: «دعني اقوم بذلك بنفسي يا شارلي.»

لكن شارلي هز برأسه نفياً، وقال لها: «لا يا أمي، ابقي حيث انت، فوالدي لن يغفر لي اذا سمح لك بأن تقومي بذلك، خاصة وانت في نهاية حمل جديد. أذكر انه أيضاً كاد ان يفوت عليه ولادة زو منذ سنتين.»

عادت وين تجلس على المقعد. انها فعلاً تشعر بالتعب والإرهاق، فابنته ذات السنتين تضج بالحركة والنشاط ولا تجعلها تهدأ أو ترتاح. وها هي الان وفي حملها الثالث، تشعر بتعب وارهاق لا يمكن وصفهما.

فولا انه ومنذ ثلاثة اعوام مضت، تمكنت من ان تخيل صورة هذا الحاضر الذي قد يأتيها سواء اب او رضيع، لما كانت صدقته. وهذا يظهر ويبين فقط، كم ان الايام تتغير وتتبدل.

كان شارلي وفي فترة حملها بالصغيرة زو، صعباً عنيداً وكثير الانطواء على نفسه، وكانت تشعر وتعاطف معه وقد ادركت كم ان الأمر صعباً وأليماً على نفسه. ومرت الايام لتحمل من جديد، فاصبحت زو لا تطاق خاصة وان والدتها اهملتها وحملت مسؤولياتها لشارلي.

وكان قد دخل إلى غرفة الولادة في المستشفى يوم ولادة زو دون ان يشعر به أحد من الممرضات بسبب الخوف والآلم اللذان سيطران على وين، وبعد ذلك، لاحظوا وجوده فاخرجته احدى الممرضات بسرعة وادخلته إلى غرفة الانتظار.

وعندما انتهت عملية الولادة، حمل جايمس الطفلة زو وقدمها إلى شارلي قائلاً بلطف: «انك محظوظة جداً ايتها السيدة الصغيرة... هل تعلمين ذلك؟ فمن دون شارلي بیننا كنت...»

لكن شارلي لم يكن مصدراً لكلام والده، بل كان يحذق بالطفلة بذهول تام، وكأنه يقيس حجمها بالنسبة إليه.

كانت زو نجمة صف شارلي في المدرسة في ذلك الصيف، في الدروس التي كان يتلقنها بمساعدة الأم في رعاية الأطفال، فبرع بسرعة في ذلك ليصبح خبيراً في هذا المجال. والذي كان يؤلم قلب وين، انه وعندما ابتسمت زو لأول مرة لم تكن ابتسامتها لها بل لشارلي.

وفي الصيف نفسه، قال لها شارلي بأنه كان يخشى

عليها ان تموت يوم انجبت زو وبأنه قد يصبح وحيداً بعد ذلك، فارتجمت وين لقوله وضمته إلى صدرها بحنان. وقالت له مهدئاً: «من النادر ان تحدث مثل هذه الأمور في ايامنا هذه».

«آه، نعم، اعرف ذلك الآن. لكنني أدركت يومها معاناته و...»

كادت وين ان تجيئه بأن ولادة زو لم تكن بالولادة العسيرة، ولكنها تمنعت عن ذلك.

أضاف شارلي: «وها نحن الآن عائلة كاملة». عائلة كاملة، فترقرقت عينيها بالدموع، لكنها تمكنت ان تمنعها من السقوط.

لقد قررت هي وجاييمس الا ينجبا اطفالاً آخرين بعد هذا الحمل الذي تحمله الآن، فالذي سيأتي سيكون رفيقاً لزو. وأملان لا تغدو فتاة مدللة في المستقبل، فهذا لا يعني ان جايمس ووين هما اللذان يكثران من تدليلها وافسادها.

انه شارلي الذي يدللها دون ان يدرى مدى خطورة ذلك. وبشاشة من اصبعها الصغير، وتتبدل الأمور فتحصر زو اهتمامها به وتترك شارلي في حالة. وسمعت بعد ذلك تداعيات ابنتها زو وتنادي على شارلي كأنها احدى الملائكة وعليه ان يلبي النداء وبأقصى سرعة: «شارلي! شارلي. تعال واقرأ لي! هيا اسرع!»

كانت صديقة شارلي في البيت ولم تستطع ان تحتمل ذلك، فاسرعت وين تصعد السلالم إلى الطابق الأعلى لتقول لابنتها بأن لشارلي اعمال اكثراً اهمية ليقوم بها من ان يقرأ لها قصة قبل النوم.

قالت زو بحزم وعناد: «لا، ليس انت، اريد شارلي..»
 «شارلي اعماله الخاصة به..» قالت لها وين وقد تجاهلت
 معارضتها وبكاءها، بينما كانت تضحك سراً.
 «ما الذي يضحكك؟» قال لها جايمس وقد دخل إلى غرفة
 زو.

«ليس من شيء مهم في الحقيقة. فقد كنت افكر كم ان
 الجولة الثانية ستكون اسهل..»
 «اسهل؟ لا اوافقك على ذلك..»
 فقالت وين بتحبيب واستدارت نحوه: «لم تفهم قصدي.
 اعني الأولاد... زو... اعني...»
 وتوقفت عن اتمام كلامها بعد ان قاطعها قائلاً:
 «حبيبي... أحبك، أحب حياتنا أحب أولادنا... أحب كل
 شيء فيك..»
 نظر كل منها إلى الآخر وكأنه يقول: «هكذا دوماً
 سنبقى... وإلى الأبد..»

تمت

HAMASAAAT